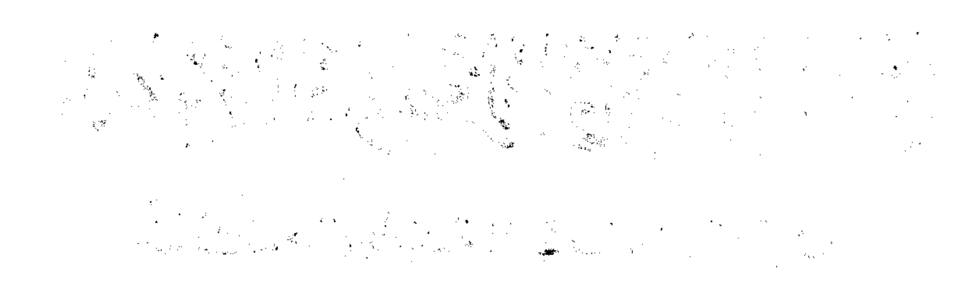
التصوير الفني للغزل في الأدب العربي

منذ نشأته حتى بداية العصر الحديث

دكتورة
فردوس نور علي حسين
المدرس في قسم الأدب والنقد
في كلية الدراسات الاسلامية والعربية
للبنات ــ جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وبعد .

فان فى حياة الأدب العربى حياة الأمة العربية لأن الأمم تحيا بتراثها وتاريخها وأمجادها ، والشعر هو السجل الحافل بالآثار وما أحرزه المتقدمون من سبق ، وما حققوه من حضارة ومجد فى كل ميدان فالأدب ضرورة من ضرورات الحياة العقلية وأساس للثقافة وغذاء للعقول والقلوب .

والشعر العربى كان — ولا يزال — حافلا بكل ما يزود الحضارة ويدعم بنيانها فهو مقوم لشخصيتنا وباعث ومحقق لقوميتنا وبه تثبت كياننا أمام العالم كله متميزين بسمات عربية أصيلة ينبض بها قلب الشعر وينبثق عنها فجر تاريخه العريق .

ونحن اذا وضعنا فنون الشعر فى ميزان التقدير فاننا نجد أن الغزل أصدق فنون الشعر وأجدرها بالاهتمام والدراسة لأنه تعبير صادق عن عاطفة جياشة صادقة لا يجرى وراء المطامع فى كسب أو الزلفى الى ذى سلطان ولا يحمل طابع التكاثر بالغنى أو المفاخرة بالفضائل والمناقب أو الانتقام من عدو أو التنقص من مكانة منافس وانما هو تيار هادر تزجيه العاطفة المشبوبة ليفصح عن التجربة

الوجدانية التى خاض الشاعر غمارها فهو يرسم صورا رائعة لأحوال النفس تذهب بالأبصار وتحير العقول فى براعة لا يستطيعها سواه •

والوجد والمرأة ينبوع ثر يرتشف من رحيقه كل من وقع عليه سمعه أو بصره فى كل زمان ومكان فهو لا يمثل عاطفة فردية لقائله فحسب بل يمثل العواطف الانسانية الخالدة ولذلك فـــانه أكمل فنون الشعر صلاحية لأن يكون عالميا يهز الشاعر ويحرك الأحاسيس فى كل جنس وقبيل ، على أنه أيضـــا انما يستمد من البيئة قوامه وبنـــاءه وينطبع بها ويمثل العقلية الانسانية كما يصور أحوال المرأة وسماتها مما لم يتوافر فى الأغراض الشعرية الأخـــرى الا ناقصا من حيث المعانى والأخيلة والأساليب وهو أبعدها من النحل والوضع لأنه لا يناصر العصبيات ولا غيرها كما أنه أعلاها كعبا فى التأثير فيما بعـــده من العصور •

والرجل والمرأة الفـــان منذ خـــلق الله الانســـان سنة الله ولن تجد لســـنة الله تبديلا فالرجـــل قد ركب فى طبعه حب المرأة وفى الرجل عاطفة واحساس وفى المرأة رقة وعذوبة لفظ وخلق وأدب فلابد أن تلتقي العواطف ولابد أن تهتز القلوب ولابد أن يحمـــل الشـــعر نجوى العواطف وهزات القلوب فكان الغزل •

وقد كانت العلاقة بين الرجل والمرأة فى الجاهلية تجـــرى على تلك الفطرة التى فطر الله الناس عليها كما هى الطبيعة البشرية الأولى ولذلك فقد كان الرجل معتدا بالمرأة يحميها فهى عرضه الذى يغار عليه مما جعـــل الجاهليين يحـــرمون زواج الفتـــاة لمن اشتهر بحبها ونظم الشعر فيها ولمـــا تلا ذلك عصـــور ظهـــرت فيها الحضـــارة ومظاهر الترف اتسعت آفاق الغزل وتنوعت ألوانه •

وقد بدا لى أن أعرض صورا متدفقة تصل بين القديم والحديث فى هذا الفن الشعرى اذ العلاقة بين ضروبه وألوانه فى كل العصور

الأدبية وثيقة الأواصر بحيث لا يمكن أن تنفصم عراها ولو قدر للأدب أو غيره أن يبت السبب بين قديمه وحديثه فى يوم ما لكان ذلك هو اليوم الذى تطلع فيه شمسه من مغربها .

وقد سقت هذا البحث متناولة جوانب متعددة تتتبعه منذ نشأته وعلى مر عصور تاريخه فتحدثت عن مدى تأثر الحياة الانسانية والأدب العربى بالغزل وكيف أنه كان انعكاسا للنفس البشرية وصبابتها وبينت أنواعه وأوضحت كل نوع ومبلغ هذا الفن فى الحياة العربية والأدبية وقد اقتضى البحث أن أتحدث عن الغزل فى العصر الجاهلى وطبيعته ودوافعه موضحة اتصاله بالبيئة آنذاك ثم ناقشت موضوع الغزل فى صدر الاسلام وأثر الاسلام على العقلية العربية ووزانت بين الغزل فى عصرى الجاهلية والاسلام ثم تحدثت عن الغزل فى العصر الأموى مقدمة له بالحديث عن الطابع السياسى والاجتماعى للدولة وما نشأ فى هذا العصر من الغزل الاباحى ووجود الغزل العذرى فى البادية وعرضت مزاعم بعض الباحثين حول المدرسة العذرية ورددت تلك المزاعم بالحجج والبراهين العلمية والأدبية واستدعى المقام أن أعرض لبعض شعراء الغزل الاباحى والعذرى ليكون نموذجا لتلك الألوان التى نمت فى هذا العصر فعرضت بشىء من التفصيل لدراسة جميل بن معمر وعمر بن أبى ربيعة موازنة بينهما من حيث المكانة الشعرية وموضحة خصائص المدرسة الغزلية التى ينتمى اليها كل منهما بعرض آراء القدماء والمحدثين مع المناقشة والتحليل الأدبى كما عرضت لما يسمى الغزل الصناعى فى تلك العصور المتقدمة ثم تحدثت عن الغزل فى العصر العباسى ممهدة له بالحديث عن البيئة السياسية والاجتماعية والترف والغناء وظهور الغزل بالمذكر وبعض من اشتهروا به ثم تكلمت عن العبقرية الأدبية فى العصر العباسى .

كما تناولت أيضا الغزل فى بيئة الأندلس العربية وبعض مظاهره وأشهر شعرائه وهو ابن زيدون وأعقبت ذلك بخاتمة للبحث ومصادره وقد بذلت فى هذه المحاولة قصاري جهدى فى التتبع والاستقصاء والتحليل والموازنة فى اطار تاريخى أدبى مبينة سمات هذا الفن فى اطار واحد يضم شتاته ويجمع أجزاءه فى مناقشة علمية موضوعية وأرجو الله عز وجل أن أكون قد وفقت الى غايتى وهو سبحانه الهادى الى سواء السبيل .

القاهرة فى :

غرة جمادى الآخرة سنة ١٤١٠ هـ
٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٨٩ م

دكتورة
فردوس نور على حسين

اثر الغزل فى الحياة والأدب

الغزل[1] أكثر أبواب الشعر من حيث الكم وأغناها من حيث الذوق والفن والعاطفة واذا قدح القادحون فيه وقـالوا ان فى بعضه عبثا ولهوا فان النفس البشرية مهما ارتفعت وسمت تجنح ولو فى بعض الأحايين اليه وما بالك اذا كان بريئا طـاهرا وحتى أولئـك الذين لم يؤثر عنهم عشق ولم يعرف لهم تعلق بامرأة قـد اشتعلت عواطفهم بما يستكن فى نفوسهم من أهداف وما تشتمل عليه أعماقهم من مآرب ويقول ابن قتيبة مبينا أثره فى اذكاء العاطفـة والمواهب البشريـة (وللشعر دواع منها الطرب ومنها الطمع ومنها الغضب ومنها الشوق الخ)[2] فهو يبعث على رقة الذوق وخصب الشعر وقوته نسـتبين

---

(١) تجرى على السنة العرب الفاظ ثلاثة فى هذا الصدد هى الغزل والتشبيب والنسيب وفيما ورد فى معجمات اللغة دليل على ترادفها فالغزل بمعنى تحدث الفتيان والفتيات والمغازلة المحادثة والمراودة والنسيب التغزل ويقال نسب بالنساء شبب بهن فى الشعر وتغزل (لسان العرب لابن منظور فى المواد شبب وغزل ونسب) وهذه الالفاظ الثلاثة يبدو ترادفها كذلك عند المشتغلين بالأدب وتاريخه فيذكر ابن سلام فى معرض حديثه عن عبيد الله بن قيس الرقيات انه كان غزلا واغزل من شعره شعر عمـر بن ابى ربيعة ويذكر النسيب فى حديثه عن امرىء القيس وان مما ابتدعه رقة النسيب ويذكر ابن رشيق الألفاظ الثلاثة مشيرا الى انها بمعنى واحـد (انظر طبقات الشـعراء ص ٢٧ ، ١٨٤ ، ٢٠٣ والعمـدة لابن رشيق ج ٢ ص ٩٤) .

وعلى هذا يجرى حـديث الكاتبين فى الأدب اللهم الا القليـل منهم كالتبريزى فى شرحه لديوان الحماسة فقد فرق بين النسيب والغزل فذكر الغزل على أنه الاشتهار بمودات النساء والصبوة اليهن وان النسـيب ذكر ذلك والخبر عنه (ج ٣ ص ١١٢) ونحن نفضل الميل الى ترادفهما جريا على ما اشتهر فى كتب الأدب .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٧ .

هذا من قول القاضى الجرجانى (وترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم والغزل المتهالك فان اتفقت لك الدماثة والصبابة وانضاف الطبع الى الغزل فقد جمعت لك الرقة من أطرافها)[٣] ويقول الدكتور أحمد ضيف تبيانا لأثر الغزل (ان النساء منبع من منابع الشعر ونحن مدينون لهن بأفضل الصفات لديهن وهى وصف شعور الناس)[٤] .

على أن فى الغزل نواحى أخرى من نواحى الجمال النفسى منها : رقة الحس وحدة الذهن والتضحية والطموح والوفاء والصبر ونضرب نماذج لذلك :

أما رقة الحس فليس من شك فى أن الغزل تجتمع لديه أطراف الرقة وجوانب الارهاف وفى ذلك يقول بشار :

فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب

فما تبصر العينان فى موضع الهوى
ولا تسمع الأذنان الا من القلب

وما الحس الا كل حسن دعا الصبا
وألف بين العشق والعاشق الصب

وأما حدة الذهن فمن أمثلته أن جميل بن معمر العذرى أتى بثينة ليلا فى ثياب راع لبعض الحى وتيمم دارها سائلا يتظاهر أمام الناس أنه يسأل الصدقة والعطاء وهو فى الحق يسأل الود والوصال وانتحى ناحية وكانت بثينة تكرم ضيفا لها فسألت جميلا من أنت فقال مسكين

---

(٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٢٤ .

(٤) بلاغة العرب فى الأندلس ص ١٧ .

وجلس وحده وكانت بثينة تجلس مع جارية لها تصطلى واجتمع القوم منتحين وأراد جميل أن يسمعها صوته حتى تعرف أمره فقال :

هل البائس المقرور دان فمصطل
من النار أو معطى لحافا فلابس

فقالت لجاريتها صوت جميل والله اذهبى فانظرى فرجعت اليها وقالت هو والله جميل فشهقت شهقة سمعها القوم فأقبلوا يجرون وقالوا مالك فطرحت بردا لها من حبرة فى النار وقالت احترق بردى فرجع القوم وأرسلت جاريتها الى جميل فجاءتها به .

وأما الطموح ففيه يقول جميل :

أفق أيها القلب اللجوج عن الجهل
ودع عنك حملا لا سبيل الى حملى
فلو تركت عقلى معى ما طلبتها
ولكن طلابيها لما فات من عقلى

فقد أبى عليه طموحه الا أن يطلبها .

ويقول عمر بن أبى ربيعة :

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا
اذا أقول صحا يعتاده عيدا
أمسى على موعد منها فتخلفنى
فما أخل ولا توفى المواعيدا .

ومن التضحية أن أبا لبنى شكا أمر قيس بن ذريح الى الحاكم فأباح دمه ان تعرض لها ولما أبلغ أباه الخبر عاتبه وتجهم قائلا :

انتهى بك الأمر الى أن يهدر الحاكم دمك ولكن قيسا لم يعبأ بلوم أبيــه ولا باهدار دمه وقال :

فـــان تك لبنى قـــد أتى دون قربهـــا
حجـــاب منيـــع مـــا اليـــه ســـبيل

فـــان نســـيم الجـــو يجمـــع بيننـــا
وتبصر قـــرن الشـــمس حـــين تـــزول

وتجمعنـــا الأرض القـــرار وفوقنـــا
ســـماء نـــرى فيهـــا النجـــوم تجـــول

فرق له يزيد بن معاوية وحقن له دمـــه وأباح أن ينتقل الى حيث يشاء والى أى بلد يريد ولو بلد لبنى •

ومن صور الوفاء ما حدث من أن أبا مجنون ليلى لجأ الى حيلة ليوقع بينه وبين ليلى حتى يعرض عنها ، سأل رجلا من الطائف أن يمر بالمجنون ويخبره أنه لقى ليلى وجلس اليها وتحـــدث معها وأنها أخذت تذكر المجنون بالسوء وأنه يكذب عليها وأنها ما اجتمعت بـــه قط كما يقول فعل الرجل ذلك وكان فطنا لبقا فى التحدث الى المجنون حتى أثار وعيه وأخذ يسردُ له من صفاتها ما جعل المجنون يصدق قوله ولـــا أخبره بأنها تنتقص سيرته نأى عنـــه جانبا وقـــال غير مكترث بما حـــكى :

اذا هبت الريـــح الشمـــال فانهـــا
جـــواى بمـــا تهـــدى الى جنوبهـــا

قريبـــة عهـــد بالحبيب وانمـــا
هـــوى كل نفس حيث كـــان حبيبهـــا

وحسب الليـــالى أن طرحتـــك مطرحـــا
بـــدار قـــلى تمسى وأنت غريبهـــا

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا
هنيئا ومغفور لليلى ذنوبها

فأى وفاء بعد هذا ؟

وقد روى أن قيس بن ذريح كان يأتى موضع خبائها ويتمرغ فيه ويقول :

بت والهم بالبين ضجيعى
وجرت مذ نأيت عنى دموعى
وتنفست اذ ذكرتك حتى
زالت اليوم عن فؤادى ضلوعى
ياليتنى فدتك نفسى وأهلى
هل لدهر مضى لنا من رجوع

والصبر هو الصفة الغالبة فى كل عمل يتطلب طموحا يقول المجنون :

الله يعلم أن النفس هالكة
باليأس منك ولكنى أعنيها
فديتك النفس حتى قد أضربها
واستيقنت خلفا مما أمنيها
وساعة منك ألهوها وان قصرت
أسمى الى من الدنيا وما فيها

أنـواع الغـزل

الغزل فن من فنون الحياة ولون من ألوانها ينمو ويتطور وتختلف عليه عوامل التقدم والتنوع فتعددت صوره وكثرت أقسامه فوجد منه الغزل الماجن والعذرى والصناعى والغزل بالمذكر ووجدت صور لذلك فى الشعر العربى مع اختلافها من حيث القلة والكثرة والأسلوب والمعانى واليك هذه الأنواع .

١ ـ الغزل اللاهى أو الاباحى :

هو الذى يستبيح فيـه الشـاعر مـا لم يستبحه صاحب الحب العذرى ومظهره أنه الى اللهو والعبث أقرب منه الى الغزل اذ يعرض الشاعر فيه للمظاهر الجسدية والموصوفة فيه غير واحدة بل كل بارزة المحاسن فهى عروس من عرائس هذا الشعر يصف منها الشاعر ظاهرها من الجمال والحسن والزينة والدلال والفتنة والاغواء كما يصور خفى أمرها ويذكر الخلوة والتحدث اليها وما كان بينهما من دعابة .

يقول امرؤ القيس :

وبيت عـذارى يـوم دجن ولجتـه
يطفن بجبـاء المرافـق مـكسال[٥]

ومن اظهاره الغواية والانحراف قوله :

ومثـلك بيضـاء العوارض طفـلة
لعـوب تنسينى اذا قمت سربـالى
لطيفـة طى الكشـح غـير مفاضـة
اذا انفلتت مرتجـة غـير متفـال
سموت اليها بعد ما نام أهلها ... الخ[٦] .

---

(٥) ديوان امرىء القيس ص ١٤٢ .
(٦) المصدر السابق ص ١٤٠ .

وهكذا غير امرىء القيس من شعراء العصر الجاهلى وهم كثر وقد كان ذلك ذا تأثير فيمن أتى بعد من الشعراء فى العصور التالية لا سيما العصر الأموى حين برز عمر بن أبى ربيعة ناسجا على هذا المنوال متبعا خطاهم متوسعا فيما ضيقوا فيه .

ويصور الشاعر فى هذا النوع من الغزل محبوبته محبة ومعشوقته عاشقة وهى شريكته فى هذا كله تترسل اليه وتستزيده وتختال لسيره اليها ويصف الشاعر كل ذلك كأنه مصور مفتن يقول عمر :

ثم قالت وسامحت بعد منع
ولأرتنى كفا تزين السوارا

وأذاقتنى بعد العلاج لذيذا
كجنى النحل شاب صرفا عقارا[٧]

ويقول :

وجلا بردها وقد حسرته
نور بدر يضىء للناظرينا[٨]

ويقول :

اسيلات أبدان دقاق خصورها
وثيرات ما التفت عليه الملاحف

وما يحويه هذا اللون متع زائلة كما قال الشاعر :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه
فلما علاه قال للباطل ابعد

(٧) ديوان عمر ص ٢٩٦ .
(*) المصدر السابق ص ٣٠٦ .
(٨) المصدر السابق ص ٨٤ .

وعلي قدر نصيب التعبير من الصـــدق تكون قيمـــة الفن فليكن الشـاعر ما شــاء في سلوكه ولكن ميزة الصدق موجودة فى شعر عمر ابن أبى ربيعة وهى مبنية عــلى الخصائص النفسية للشـــاعر وعــلى سلوكه فى الحياة وهى تقوم على الأنانية أو الانحراف وغـــير ذلك من المثالب والعيوب التى قد تأخذ أحيانا معنى الوقاحة أو الفجور[٩] •

وهذا النوع من الغزل ينبو عنه الذوق السليم والخلق الفاضل •

٢ ــ الغزل العــذرى :

يختلف عن سابقه فهو حديث صادق برىء صادر عن وفاء واخلاص ليس فيه مجون ولا عبث ولا فحش ولا خلاعة يتحدث فيــه الشـــاعر عن رفيقة صباه وهى واحدة فى غدوه ورواحه وحلــه وترحاله ونومـــه ويقظته ورخائه وشدته حيث الوصال أو الفراق وكأن كل أحوالها لذة ومتعة وشاعر كهذا يكون أكثر رقة لفظا ومودة معنى وعمقا فى دقـــة تصوير وحسن خيال لأنه يصدر عن احساس مرهف وقلب مضنى فهـــو حديث عن المثل الأعلى الذى يتخيل كل شىء فيه فى محبوبته فهو يرسله على طبيعة نفسه وفطرتها فيكون نغما قدسيا ســـاحرا ، وهذا الحب ضرب به المثـــل •

وهؤلاء الشعراء يمثلون الغزل الصـــادق وهو لا يتـــأتى الا لمن أوتى طهارة القلب وصفاء الحس فالشاعر فيـــه يولى المرأة من حبـــه وهى توليه من حبها وهما صادقان فى هذا الولاء وعلى رأس شعراء هذا اللون من الغزل جميل الذى قال :

اذا ما تراجعنـــــا الذى كـــــان بيننـــــا
جرى الدمع من عينى بثنيـــة بالكحل

---

(٩) من كتاب الشاعر الشهيد هاشم الرفاعى للأستاذ محمد كامل • سلسلة اقرأ ط دار المعارف ١٩٦١ ص ٤٠ •

كلانا بكى أو كاد يبكى صبابة
الى الفه واستعجلت عبرة قبلى
أبيت مع الهلاك ضيفا لأهلها
وأهلى قريب موسعون ذوو فضل
فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها
ويا ويح أهلى ما أصيب به أهلى

وهذا اللون من الغزل يلجأ غالبا الى النواحى الروحية التى تترك آثارها فى نفوس المشتغلين بها بريئة طاهرة مع ما يمازجها من الحرمان والرضا بالقليل حتى بالكلمة أو النظرة العجلى كما قال جميل :

وانى لأرضى من بثينة بالذى
لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا وبالا أستطيع وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى
أواخره لا نلتقى وأوائله

ومع ذلك نجد الجانب الجمالى فى الجسم ظاهرا أحيانا فى بعض الشعر العذرى لكنه لون من الاعجاب بما عليه المحبوب بعيدا عن الخنى أو الفحش كأن يقول جميل :

سبتنى بعينى جؤذر وسط ربرب
وصدر كفاثور اللاجين وجيد

وكما يقول قيس بن ذريح فى لبنى :

لها كفل يرتج منها اذا مشت
ومتن كغصن البان مضطمر الخصر[١٠]

ويقول قيس بن الملوح فى ليلاه :

بيضاء خالصة البياض كأنها
قمر توسط جنح ليل مبرد

وترى مدامعها ترقرق مقلة
سوداء ترغب عن سواد الاثمد[١١]

فهذا اللون الشعرى يشتمل على بعض الجوانب غير الروحية التى تتصل بالجسد لكنه قليل .

وهذا اللون من الشعر ذهب اليه كثير من الشعراء واشتهر به بنو عذرة واستشهدوا فيه مثل عروة بن حزام ونسجت حولهم المسرحيات العذرية البارعة كما نسج الشاعر هاشم الرفاعى مسرحيته عن شهيد بني عذرة وقال فيها على لسان سعاد[١٢] مصورا هذا الاتجاه :

بنو عذرة الطاهرون الأباة
كرام الشيوخ نقاة الشباب

اذا عشقوا كان عشق التقاة
وقام من الطهر فيهم حجاب

---

(١٠) الأغانى ٨ / ١١٦ .

(١١) الأغانى ٨٣/٢ .

(١٢) احدى شخوص مسرحيته .

يموتـــون حبـــا لأن العفـــاف
لهم فى الصـــبابة طبـــع وداب[١٣]

٣ ـ الغزل الصـناعى :

الى جانب نوعي الغزل الســابقين نشأ نــوع جديد من الغزل يصطنع الشاعر فيه الحب ويتذرع به ويتمثل كي يلهب احساسه ويذكي مشاعره ويشعل مواهبه محاولا الكشف عن قدرلته وطول باعه وبلاغة يراعه فهو يصــور اللقاء والحديث والمشــاهد العامة التى تحــرك العواطف ويتحدث عن الحب اللاذع والوجد اللافح الذي يصيبه من جراء محبوبته ولا يكاد يفارقه ، ولكن هذا اللون من الشعر لا يتصــل بدخائل النفس ولا ينفذ الى دقائق الحس ولم ينشأ غالبا عن تجربة ذاتيـــة :

يقـــول المتنبى :

اذا كان مدح فالنســيب المقــدم
أكــل فصيح قــال شعرا متيم

وهذا اللون يغلب أن يقع في مستهل القصائد في شتي فنـــون الشعر فقد يريد الشاعر أن يفخر أو يهجو أو يمدح أو يرثي أو يقول شعرا فى الحماسة فاذا به يفتتح حديثــه بالغــزل أو الرحــلة الى المحبوب ثم ينتقل بعد ذلك الى غرضه الأصـــلى دون أن يكون لـــه محبوب على سبيل الحقيقة وانما يريد أن يجـــذب الانتباه في مطلع قصيدته وأن يلفت الأنظار ليتلقي غرض القصيدة الأصــلى بالقبول وقد يكون الانتقال الى غرضه الأصلى من الغــزل دون تدرج وهذا ما وقع فى بعض القصائد فى العصر الجاهلى مما قيل عنه انه أفقــد

(١٣) الشاعر الشهيد ص ٤٦ .

القصيدة وحدتها الموضوعية ومن ذلك ما قاله لبيـــد حين أراد أن يفخر فجعل مطلع قصيدته فى الغزل قائلا :

عفا الرســـم أم لا بعد حـــول تجرما
لأســـــماء رســـم كالصحيفة أعجما

ثم بعد ذلك ينتقل الى غرضه الأصلى وهو الفخر فيقول :

فدع ذا وبلـــغ قومنا ان لقيتهم
وهل يخطئن اللوم من كان ألوما(١٤)

ومن ذلك قول كعب بن زهير فى مطلع قصـــيدته المشهورة فى الاعتذار للرسول صلى الله عليه وسلم :

بانت ســـعاد فقلبى اليـــوم متبـــول
متيـــم اثرهـــا لم يفد مكبـــول

ثم انتقل الى غرضـــه فقال :

نبئت أن رســـــول الله أوعـــدنى
والعفو عنـــد رســـول اللـــه مأمول

وقد تنبه الى ذلك نقاد الأدب فابن قتيبة يذكر أن بعض الشعراء يبدأون بذكر الديار والدمن والآثار ويشـــكون ويبـــكون ويستوقنون الرفيق ويصلون ذلك بالنسيب فيتحدثون عن الوجد والفراق والصبابة لتميل نحوهم القلوب وتنصرف اليهم الوجوه ويستدعى ذلك أصغاء الأسماع لقرب النسيب من النفوس ثم يصفون الرحـــلة ومشقاتها ثم ينتقلون لغرضهم كالمدح ونحوه(١٥) .

---

(١٤) ديوان لبيد ص ٣٩ .

(١٥) الشعر والشعراء بتصرف ص ١٤ .

٤ ــ الغــزل بالمذكر :

وفيه يتجه الشاعر الى الذكر فيصف ما يجول بين جوانحه ناحيته ويجرى فى هذا النوع ما يجرى بين المحبين رجل وامرأة من مواقف وأحاديث يقول أبو نواس :

أحببت من شعر بشــار لحــبكم
بيتــا كلفت بــه من شــعر بشــار

يا رحمــة الله حـــلى فى منازلنــا
وجــاورينا فدتك النفس من جــار

اذا ابتهلت ســـألت الله رحمتــه
كنيت عنــه وما يعروك اضمــار

وممن سار فى هذا الطريق من التغــزل بالغلمان حمــاد عجرد ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد ومن أشهرهم والبة بن الحباب ومن شعره :

قلت لســاقينا عــلى خــلوة
ادن كــذا رأســك من راســيا

وزاد تلميذه أبو نواس فى هــذا الفحش واختلط ذلك بنواحى الانحلال الأخــرى كمجالس شرب الخمر واللهو والعبث الذى ظهر فى العصر العباسى وانتشر وشاع بين الشعراء وهى الوان من المجــون يضيق المقام عن حصرها الى درجة أن أصبح الغزل بالغلمان قائما مقام الغزل بالمرأة(١٦) .

---

(١٦) انظر المقارنة بين الشعر الأموى والعبــاسى فى العصر الأول للدكتور عزيز فهمى ص ٢٩٠ .

وربما رجع هذا اللون من الشعر الى الوراثـة عن الفرس فيما أثر عن مانى منذ ألف سنة ثم شـاع فى العصر العباسى متصلا بهؤلاء الغلمان الأرقاء بالشراء والأسر من جنسيات مختلفة فرس وخراسانيين وروم وصقالبة وترك(١٧) الى غير ذلك .

عوامل نشـأة الغزل

خليق بنـا الآن أن نناقش العوامـل التى أفضت الى نشـأته وأسهمت فى وجوده وأهم تلك العوامل عند العرب ما يلى :

١ ـ الحياة السياسية والاجتماعية :

انحصرت الحالة السياسية داخل الجزيرة فى قيام النظام القبلى الذى أسس على عادة انضواء جميع أفراد القبيلة تحت لواء زعيم من سادتهم تتوافر فيه شروط الرئاسة وهى الثراء والحمية والحلم والكرم والشجاعة تلتف حوله القبيلة متكافلة وقت الشدة وكانت تبدو حياتهم فى استقرار ما دامت وسـائل العيش وافرة ويشدون الرحـال الى أماكن متنائية حينما تضطرهم ظروف الحياة وهكذا ، وكانوا يعيشون على طبيعتهم البدوية فى صحراء شاسعة وسماء صافية مع شيء من وسائل العيش التى تساعد على الصفاء النفسى وخلو البـال ويقرر ابن خلدون (أن بلاد العرب لا تنبت زرعًا وأن أهلها يفقدون الحبـوب والأدم جملة)(١٨) وخلص من هذا الى قولـه (ونجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهـل القفار أحسن حـالا فى جسومهم وأخلاقهم من أهـل التلوج المنغمسـين فى العيش فـألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وأشكالهم أحسن وأتم وأخـلاقهم أبعد من الانحـراف وأذهانهم أثقب فى المعارف والادراك)(١٩) .

---

(١٧) المرجع السابق ص ٢٨٥ .
(١٨) المقدمة ص ٩٨ .
(١٩) المقدمـة ص ٩٨ .

وهذه الطبيعة البدوية لازمها حب المرأة وما يوحى بـه هذا الفن الجميل من الغزل وقد قيل لكثير عزة ما بقى من شعرك ؟ قـال : ماتت عزة فما أطرب وذهب الشباب فما أعجب ومات ابن ليلى يعنى — عمر ابن عبد العزيز — فما أرغب .

٢ — الرجل والمرأة فى ميدان العمل :

كان الرجل العربى يتحدث الى المرأة دون تحرج وكانت المـرأة طليقة تتنقل وتشارك الرجل فى أعماله فى الرعى والسقى وحضـور أسواق الأدب تسمع أو تنشد ما تريد وفى كل هذه الأعمال كانت تلقى الرجل ويلقاها ولا فرار من التقاء العواطف ولقد جمـع الرجل بالمرأة مناسبات شتى ففي الرعى كان الملتقى وبلاد العـرب تنبت العشب والكلأ الكثير ويعيش أهلها على رعي الابـل والغنم ولا يكاد يشب الفتى حتى يقوم بحظه فى ذلك لـما تكلفه هذه المعيشة من جهد وكانت الفتاة رفيقته فى ذلك دون بأس أو حـرج وهذه الحـرفة تمـكن من الاختلاط بينهما جزءا طويلا من النهار فاذا غربت الشمس افترقا حيث تؤذن بالشروق مرة أخرى فيتجـدد اللقاء وكـان التزاور والاستسقاء عاملين بارزين فى البيئة العربية فالعرب كانوا يتزاورون وهم أهـل كرم وسماحة ومروءة ولهذا التزاور ما يترتب عليه من قـرى وسقاية للمـاء وهذا يؤدى الى نشأة علاقة الحب والغزل ، (خرج عبد الله ابن علقمة أحد بنى عامر وهو شاب مع أمه فى زيارة جارة لها وكان لها بنت يقال لها حبيشة فلما رآها أعجبتـه ووقعت فى نفسـه وفى ذلك يقول حين انصرافه مع أمه وكانت السماء تمطر :

ومـا أدرى بـلى انى لأدرى
أصـوب القطـر أحسن أم حبيش

حبيشـة والذى خـلق البرايـا
ومـا عن بعدها للصـب عيش

ولمـــا أراد العاذلون التفريق بينهما وقرأ المكيدة فى دمعها قال :

لو قلت ما قـــالوا لزدت جـــوى بكم
عـــلى انـــه لم يبق ستر ولا صـــبر

ولم يك حبى عن نـــوال بذلتـــه
فيســـلينى عنـــه التجهم والهجـــر

وما أنس م الأشياء لا أنس دمعها
ونظرتها حتى يغيبنى القبـــر(٢٠)

٣ — مواســم العـــرب :

كانت للعرب مواسم يجتمعون فيها وتؤدى الى اختلاط الرجـــل بالمرأة ، بعضها دينى وبعضها أدبى فالحج من أكبر المواسم التى كان العرب يجتمعون فيها ومع أن هذه الساحة الدينية تخشع فيها القلوب فقد كانت أحيانا تؤدى الى رؤية الرجل للمرأة وتنشأ بعض صـــور الغزل فها هو ذا عمر بن أبى ربيعة الذى انقطع لأحاديث الظريفـــات من بنات عصره القادمات من العراق والشام واليمن والطائفات بالبيت وكن يجبنه حينا ويزجرنه آخر مخافة التشـــهير وفى الأســـواق كانت العرب تجتمع فتعرض انتاجها وتجارتها وبعضها كان منتدى لشعرائها وخطبائها ومكانا لحلقات مناظراتها ومفاخراتها ومجـــالات تهذيب لغتها وتقويم منطقها وسمو بيانها وهذه الأسواق كن يغشاها الرجال والنساء من جميع الطبقات وتتجلى فيها قرائح الشعراء ومواهب الخطباء ومنها سوق عكاظ(٢١) ومجنـــة(٢٢) وذو المجاز(٢٣) وهذا التلاقى بين الرجـــل

---

(٢٠) الأغانى ح ٧ ص ٢٨٠ .

(٢١) موضع قرب الطائف .

(٢٢) موضع قرب مكة .

(٢٣) موضع قرب عرفـــات .

والمرأة فى هذه الأماكن يؤدى الى الغـزل مع وجود الشـعراء ذوى الأحاسيس المرهفة والغزل ناحية من الشعر يسمعها كل من الرجل والمرأة فيعجب ويطرب .

٤ ــ البيئة الطبيعية والغنـاء :

ليس من شك فى أن الانسان قد اهتدى الى فن الغناء بطبيعته وانطلقت به عقيرته فالغناء ظاهرة فطرية لازمت الانسان منذ وجـوده على هذه الأرض حين رأى تناوح الرياح وخرير المياه وحفيف الأشجار وتعاقب الليل والنهار فأوحت اليه هذه المظاهر الرائقة التى تهتف بها موسيقى الكون أن يشدو بأنغامها الخافقة والغناء كان من دأب العربى وهو يقطع المسافات على ظهر راحلته تهتز به اهتزازات توفيقيـة فى بطئها واسراعها وكان من دأبه وهو يهجم فى الحـرب أو يمتح البئر أو تعوزه التسلية أو تنزل به النازلة فينفس عن نفسـه بالغناء وهـكذا كان الشعراء فى الجاهلية يتغنون بشعرهم وهم ينشدونه كان المهلهل يتغنى به والأعشى كان يسمى صناجة العرب(٢٤) .

وقـال حسـان :

تغن بالشـعر امـا كنت قائلـه
ان الغنـاء لهذا الشـعر مضمار

ومن هذا الشعر المتغنى به الغزل فهو يرجـع بذلك الى الغنـاء كما نشـأ الشعر اليونانى مع الغناء بما فيه الغزل .

٥ ــ مظاهر الترف :

الغزل من الفنون التى تنشـأ مع ألوان الحيـاة الباسـمة وهو نفثة توجد حيث صفاء النفس ونعيم الحياة ويقول ابن خـلدون (ان

---

(٢٤) الاغانى ٥ ص ٥١ ط دار الكتب .

الأمة اذا تغلبت وملكت ما بأيدى أهـل الملك قبلها كثر رياشها ونعمتها فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافلـه ورقته ويقول فاذا حصل الملك قضوا على المتاعب التى كانوا يتكلفونها فى طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المبانى أو المساكن والملابس فيبنون القصور ويجرون الميـاه ويغرسون الرياض ويستمتعون بأحوال الدنيا[٢٥] .

وقد كان العربى فى العصر الجاهلى لا يلقى مشقة فى الحصول على قوته ثم لـما فتح على العرب باب الحضارة والثراء كما حدث فى العصر الأموى وما تلاه وجدنا سبيلا واسعا لنشأة الغزل .

٦ ـ الشـباب :

سواء كان شباب الشاعر أو شباب الأمة فالشباب يملأ النفوس بأهازيجه بخلاف من أصابته الشيخوخة وتوالت عليه الأحـداث فانـه يرغب عما هو حسن جميل ويزهد فى الحياة فلا شأن له بالغزل وقـد سئل كثير لـما أصبح لا يقول الشعر فذكر أن أقـوى الأسباب التى حالت دون ذلك أنه ذهب شبابه فلا طرب ، وكان أبو العتاهيـة غزلا ولكنه انصرف فى أخريات أيامه الى الزهد وترك الغزل .

وشباب الأمة يظهر قوتها ومجدها ورفاهيتها مما يجعلها فى رغد العيش وتلك هى الحال التى عناها ابن خلدون مما يجعل أهله يسرحون ويمرحون وهنا نجد شعر الغزل وتبدو نضارته وروعته .

---

(٢٥) المقدمـة ص ١٨٣ .

الغزل في العصر الجاهلي

طبيعة غـــزله :

تبين لنا أن العرب أهل حل وترحال وأسفار يجرون وراء المـــاء والكلأ وكان شعرهم مرآة لحياتهم سواء كان شعر حماســـة أو مدح أو رثاء أو فخر يمدحون فيه رجـــالهم وما أوتوا من البأس والمرءوة ويصفون ما شاهدوه بالمحافل والأسواق الأدبية وهم بعد مرهفو الحس أصفياء النفس مرتاحو البال يغنون مـــع سوق الابـــل تحت سمائهم الصافية وفوق رمالهم اللامعة فدعاهم ذلك الى الغزل الا أن غزلهم لا تكاد تعثر عليه فى اطار شامل ومن هنا وجـــد مبعثرا فوجد الغزل المـــاجن الذى عرضت أمثلة له فى الحديث عن أنواع الغـــزل وكذلك الغزل الصناعى والعذرى الذى يذكر فيه الشـــاعر صبوة نفسه ولكن الشاعر فى هذا العصر لا يخلو من أحداث وأحوال أخرى تملى عليـــه أن يقول شعرا فى هذه الأحداث وتلك الأحوال مع الغزل وأحداثه التى تكاد تكون قصصا فيها خيال وجمال ومن ذلك ما كان من امرىء القيس مع ابنة عمه عنيزة بنت جميل فقد تغزل فيها ووصف محاسنها وتحـــدث عن حاله معها فى معلقته المشهورة :

قفا نبك من ذكـــرى حبيب ومنـــزل

بسقط اللوى بين الدخول فحـــومل

ففيها تصوير رائع لمـــا جرى بينهما ٠

والمرقش الأكبر أحب ابنة عمه أسماء وطلب يدها من أبيها فقال له لا أزوجك حتى تمر بالبأس وفى سبيله ارتحل وفى أثنـــاء رحيله أتى عمه رجل عرف بالمـــال فزوجه أسماء وقـــال المرقش ذلك فى مطـــلع القصيدة :

أمن آل أســـماء الطـــلول الدوارس

يخـــطط فيها الطـــير قفر بســـابس

وتبدو صورة هذا اللون العذرى عند عنترة فى حديثه عن حبه عبلة ابنة عمه فهو يتحدث عن وجد وعذاب لا يشبهه عذاب (وذلك هو الحب العذرى الذى عرف به العرب وهـو حب يتحول الى ما يشبه محنة لا يستطيع المحب تخلصا منها حب كله ضنى وآلام حين يقول :

ولقد ذكرتـك والرمـاح نواهـل
منى وبيض الهند تقطـر مـن دمى

فوددت تقبيـل السـيوف لأنهـا
لمعت كبـارق ثغـرك المتبسـم[1]

وكان الجمال يثير الشعراء فى ذلك العصر ويجعل ألسنتهم تنطق بوصفه ووصف ما كانت النساء تتزين به من طيب وحلى وثياب كما قال امرؤ القيس :

وتضحى فتيت المسـك فوق فراشـها
نـؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضـل

وكما قال المنخل اليشكرى فى فتاة يحبها :

الكاعب الحسناء تـر فل فى الدمقس وفى الحرير

ومع أن الشعراء فى هذا العصر قد لفت أنظارهم هذا الجمال الحسى فاننا نرى بعضهم قد فطنوا الى الجمال المعنوى والخصال الكريمة التى يتحلين بها ومن ذلك قول الشنفرى فى زوجته أميمة :

لقد أعجبتنى لا سـقوطا قناعها
اذا ما مشـت ولا بذا تلفت

---

(١) الشعر وطوابعه الشعبية للدكتور شوقى ضيف ص ٢١ .

تبيت بعيــد النوم تهدى غبوقها
لجـــاراتها اذا الهديــة قــلت

تحـــل بمنجــاة من اللــوم بيتها
اذا ما بيــوت بالمذمــة حــلت

كأن لها فى الأرض نســيا تقصــه
عــلى أمهــا وان تكلمك تبــلت

أميمــة لا يخــزى نســاها حليــلها
اذ ذكــر النســـوان عفت وجلت

اذا هــو أمسى آب قــرة عينــــه
مــآب الســعيد لم يسل أين ظلت

ففى الأبيات جملة من الخصـــال الكريمة وهى عــدم تلفتها فى أثناء السير وايثارها جارتها باللبن وتحصينها لمنزلها من اللوم وشـــدة حيائها واقتضابها الحديث مع من يعترضها من الأشخاص وما تتحـــلى به من العفة والجلال وسعادة زوجها بها فلا يسأل أين كانت[٢] .

---

(٢) العصر الجاهلى لشوقى ضيف ص ٧٤ ، ٧٥ .

التصوير الفنى للغزل في العصر الجاهلى

لا شــك أن الشاعر الجاهلى كان يملك زمام اللغة فى قوة فصاحة وبيان فطرى فى تلك البيئة التى عاش فيها بيئة الطبيعة الصافية البعيدة عن التكلف أو الثقافات الأجنبية فجاء تعبيره متصــلا ببيئته أشــد اتصـــال فالمعانى التى طرقها الشعراء فى غزلهم تتعــلق بما شاهدوه وما ألفوه وما استولى على نفوسهم من مشاعر وأحاسيس وهى معان قوية تتميز بالصدق دون اغراق أو ابعاد عن الحقائق التى يحسون بها أو يرونها وبعيدا عن الفلسفات التى تنبع من الثقافات المتنوعة التى استجدت فيما بعد من الاتصال بالأمم الأخــرى فمعــانيهم تعبر عن المشاهد الحسية فى المرأة فتصف جمالها مع تعدد ألوان هذا الجمــال فقد تصف أجزاء جسدها كالوجه والخد والعين والشعر والعنق والخصر فنجد من يقــول :

دخـــلت عـــلى بيضـــاء جم عظامها

تعفى بذيل المرط اذ جئت مودقى[1]

وكمـــا قـــال :

تضىء الظـــلام بالعشـــاء كأنها

منـــارة ممسى راهب متبتـــل[2]

---

(1) ديوان امرىء القيس ص ١١٩ والمودق : الموضــع أو آثــار القــدم .

(٢) الديوان السابق ص ١٣١ .

ويقول طرفة :

ووجه كأن الشمس حلت رداءها
عليه نقي اللون لم يتخدد[٣]

ومن ذلك قول المرقش الأكبر فى وصف الخد :

ورب أسيلة الخدين بكر
منعمة لها فرع وجيد[٤]

ويقول علقمة في وصف الجيد :

وجيد غزال شادن فردت له
من الحلى سمطى لؤلؤ وزبرجد[٥]

ويقول امرؤ القيس فى وصف الشعر :

غدائره مستشزرات الى العلا
تضل المدارى فى مثنى ومرسل[٦]

وشعرهم ملىء بالحديث عن كل أجزاء الجسم وما أعجبوا به منه وقد يتحدثون عن حديث المرأة أو صوتها أو ما لفت أنظارهم أو حسهم من الميل اليها أو عفتها أو نحو ذلك كما يقول كعب بن زهير :

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا اغن غضيض الطرف مكحول[٧]

---

(٣) ديوان طرفه ص ٩ .
(٤) المفضليات ٢/٢٤ .
(٥) شعراء النصرانية ص ٥٠٥ .
(٦) ديوانه ص ١٣٠ .
(٧) جمهرة أشعار العرب للقرشى ص ٢٠٨ .

ويقول سويد بن أبى كاهل :

تسمع الحداث قولا حسنا
لو أرادوا غيره لم يستمع[٨]

وكثيرا ما عرض الشعراء للحديث عن ميلهم الى المرأة وتعلقهم بها لما تنطوى عليه من أمور خفية كما يقول بعضهم وهو ربيعة ابن مقروم :

لو أنها عرضت لأشمط راهب
فى رأس مشرفة الذرا يتبتل

نصبا لبهجتها وحسن حديثها
ولهم من ناموسه يتنزل[٩]

وكثيرا ما تناولوا فى معانيهم المحسوسات كالطيب الذى تتطيب به والخضاب الذى تضعه فى أيديها كأن يقول عنترة :

تبيت فتات المسك تحت لثامها
فيزداد من أنفاسها أرج الند[١٠]

وكأن يقول النابغة حين وصف متجردة النعمان :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص البنان كأنه
عنم على أغصانه لم يعقد[١١]

(٨) المفضليات ح ١ ص ١٩٠ .
(٩) الأغانى ٢٢/٢٠ .
(١٠) ديوانه ص ٧٢ .
(١١) ديوانه ص ٢٩ .

ووصفوا الملابس وما تتزين بـه المرأة الى غير ذلك كما تحدثوا عن اللقاء والفراق وأثر ذلك فى نفوسهم كأن يقول بشر بن أبى حازم :

ألا بـان الخـليط ولم يزاروا
وقلبـك فى الظعـائن مسـتعار

فـلأيا ما قصرت الطـرف عنهم
بقانيـة وقـد تلع النهـار[١٢]

وكانوا يتحدثون بعد الرحيل عن آثار المحبوب وذكراه فيتحدثون عن البروق التى قد تومض من الجهة التى يقطن فيها أو ارتحل اليها .

كما قال عنترة :

ويا برق ان عرضت من جانب الحمى
فحى بنى عبس على العلم السـعدى

وان خمـدت نـيران عبـلة موهنـا
فكن أنت فى أكنافها نير الوقـد[١٣]

ويتحدثون عن الطيف الذى يراود المحبين ويصفون مشـاعرهم الجياشة تجاهه كما يقول طرفة :

سمـا لك من سلمى خيـال ودونها
سـواد كثيب عرضـه فأماثله[١٤]

ويقول عنتـرة :

ألا يا عبـل منى بطيف الخيـال
عـلى المسـتهام وطيب الرقـاد[١٥]

---

(١٢) المفضليات ٨٣/٢ ومعنى تلع النهار : ظهر وارتفع .
(١٣) ديوان عنترة ص ٦٥ .
(١٤) ديوان ص ١١٧ .
(١٥) ديوانه ص ٥٣ .

وقد درجوا على ذكر الاطـلال والديـار والوقوف عليها كمعان يتناولونها فى قصائدهم وقد يجعلونها مفتتحا لأغراضهم كما ذكرنا فى المعلقات عند امـرىء القيس وطرفـة واضرابهم وقد يتحـدثون عن رسومها التى عفت عليها الريـاح أو البقايا المـاثلة منها كأن يقول امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكـرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقـراة لم يعف رسـمها
لمـا نسجتها من جنـوب وشمال(١٦)

ويقول عنترة فى رسم ديار عبلة الذى أقفر :

حييت من طـلل تقـادم عهـده
أقـوى وأقفر بعد أم الهيثم(١٦)

وكثيرا ما كانوا يستنطقون الآثار تعبيرا عن مشاعرهم كأن يقول امرؤ القيس :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وهـل يعمن الا سـعيد مخـلد
قليـل الهموم ما يبيت بأوجال(١٨)

وهكذا كانت هذه المعانى المحسوسة مجـالا واسعا تتفتق فيـه قرائحهم بما يجعلها مقبولة على الأسماع لذيذة على الحس المرهف .

---

(١٦) ديوانه ص ١٢٤ .
(١٧) ديوانه ص ١٢٢ .
(١٨) ص ١٣٨ .

أما الخيال والصور فلم تكن بعيدة عن هذه المعانى فهى صنوها مستمدة من البيئة فالتشبيه والاستعارات وغيرها مأخوذة مما يبدو فى البيئة من مظاهر فى السماء والأرض كالتشبيه بالشمس فى قول الشاعر ووجه كأن الشمس .. الخ وكما يقول سويد بن أبى كاهل :

تمنح المرآة وجها واضحا

مثل قرن الشمس فى الصحو ارتفع (١٩)

ويشبه الشعر بالليل فى السواد كما قال عنترة :

خطف الظلام كسارق من شعرها

وكأنما قرن الدجى بدياجى (٢٠)

وقد يصف الخصر الضامر بأنه كثيب من الرمل يقول طرفة :

واذا قامت تداعى قاصف

مال من أعلى كثيب منقعر (٢١)

وقد شاعت الصور المنتزعة من حيوانات البيئة وكثر تشبيه المرأة بالظبية كأن يقول امرؤ القيس :

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى

بناظرة من وحش وجرة مطفل (٢٢)

ويشبه ريق المرأة بالخمر وبصوب المطر وبالريح الطيبة وبالعسل كما يقول امرؤ القيس :

كأن المدام وصوب الغمام

وريح الخزامى وذوب العسل

---

(١٩) المفضليات ١٨٩/١ .
(٢٠) ديوانه ص ٣٩ .
(٢١) ديوانه ص ٥٢ .
(٢٢) ديوانه ص ١٣٠ .

يعـــل بـــه بـــرد أنيابهـــا
اذا النجم وسط الســماء استقل[٢٣]

ويشبه ساقها بعود البردى كقول امرىء القيس :

وكشح لطيف كالجديـــل مخصر
وســاق كأنبــوب السقى المذلل[٢٤]

وشاع أيضا فى الحديث عن الأطلال تشبيهها بالخط والكتابة كأن يقول طرفـــة :

أشـــجاك الربـــع أم قدمـــه
أم تـــراب دارس حممـــــه

كســـطور الـــرق رقشـــه
بالضحى مرقش يشــــمه[٢٥]

وبهذا نرى أن الصـــور منتزعة من البيئة ويغلب فيها التشـــبيه ذو الأداة وهى تلك الصورة التى تتضح فى أشعارهم مستخدما فيها الكاف وكأن فى أغلب الصور وفى بعض الأحيان يتفننون فى التشبيه بما يعرف بالتشبيه المقلوب •

وتشتمل صورهم عـــلى بعض الاستعـــارات والكنايات أيضـــا كما يظهر فى بعض ما ذكرناه آنفا •

وعلى ذلك فالصور الشعرية واضحة بعيدة عن التعقيد والتنميق الذى لجأ اليه من أتى بعد ذلك من الشعراء •

---

(٢٣) ديوانه ص ١٧١ •

(٢٤) ديوانـــه ص ١٣٠ والسقى المذلل هو البردى •

(٢٥) ديوانـــه ص ٦٨ •

وقد ينظر الى تعدد الصور بين الشعراء على أن بينها تشابها ولا عجب فالبيئة واحدة والأعين تقع على أشياء متشابهة فى أمـاكن شتى فكل يشبه بالخمر والشمس والظبية وتتلون الصور وقد يكون لقاء الشعراء بعضهم ببعض أو سماعهم على لسان الرواة لأشعار أقرانهم دافعا الى الاعجاب ببعض الأساليب والصور الى حد يصل الى التقليد كما نرى فى قول النابغـة :

لو أنهـا عرضـت لاشمط راهب
عبد الالـه صرورة متعبـد

لرنـا لرؤيتهـا وحسن حديثهـا
ولخالـه رشدا وان لم يرشـد

وقول ربيعة بن مقروم :

لو أنهـا عرضت لأشمط راهب
فى رأس مشرفـة الذرا يتبتـل

لصبا لبهجتهـا وحسن حديثهـا
ولهم من ناموسـه يتنـزل

أما العبارة الشعرية فتشتمل على ألفاظ الشعر الجاهلى المعروفـة بالجزالة والفخامة والرصانة فليس فيها لفظ سـوقى واذا كان شعر العصر الجاهلى يشتمل على ألفاظ كثيرا ما تخفى علينا الآن فان الألفاظ فى شعر الغزل جاءت فى معظم الأحيان واضحة رقيقة رقة الغـزل الذى هذب من ألفاظ الشاعر وجعل أسلوبه سهلا ميسورا .

ويلجأون فى كثير من الأحيان الى الشعر القصصى الذى يتحدث عن اللقاء والوصول اليه والانصراف عنه وما حدث فيه وان جـاءت

قصصا طبيعية خالية مما اشتملت عليه القصة فيما بعد من نظم وأحداث تتسلسل لتنتهى الى نتيجة معينة وتبدو بعض صور القصة فى شعر لامرىء القيس كأن يقول : ويـــوم دخلت الخـــدر خدر عنيزة   الخ فيحكى تفاصيل ما حـــدث له معهـــا وكذلك وردت قصص عند عنترة والأعشى وأضرابهم وهم يعتمدون فى أساليبهم عـــلى الايجاز ، ولم يكونوا يهتمون بالتفصيل أو التحليل وذلك سمة العصر الذى كان يقنع بالشىء العاجل دون تأن أو ابطاء كحياتهم البدوية المبينة على التنقل والترحال •

الغزل فى صدر الاسلام

لعلنا أدركنا مما سبق ما كانت عليه الحياة فى العصر الجــاهلى من نظام قبلى يقوم على أساس تغلب القوى عــلى الضعيف وتنتشر فيه عبادة الأصنام والأوثان وكان الظلم الاجتماعى يقع على عاتق بعض الناس وتسلب بعض الحقــوق من أصحابها وتتغلب شهوات النفس على أولئك الذين يتــركون لملذاتهم عنانها فى تلك البيئــة التى كانت تتمتع بالثراء المــادى ولذا انتشر الغزل فى هذه البيئة وأخذ أشكالا متنوعــة من أبرزها اللون المــاجن الذى عرفناه عند شعراء أمثــال امرىء القيس وفحشه فيه ولمــا فشا فى الحياة الجاهلية الانحــراف والبغى والظلم الى جانب عبادة غير الله جاء الاســلام لينقذ العرب والعالم كله من الضلال ويأخذ بأيديه الى الهداية فكانت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعثا جــديدا لترسيخ مبدأ الايمــان بالله وحده وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر وجاءت الدعوة الاسلامية تحث على الفضائل والقيم فيما شرع الله تعالى من أحــكام وتكاليف كالصلاة والصيام والزكاة والحج والدعوة الى اصلاح النظام الاقتصادى والاجتماعى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتكوين أمة تتعاون على البر والتقوى لا على الأثم والعدوان •

وفى بدء الدعوة الاسلامية كانت مواجهات الاسلام مع المناوئين الذين وقفوا فى وجه الدعوة وأخذ الرسول صــلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه فى دفع الخطر عن الدولة الاســلامية الناشئة وعملوا على الدفاع عن الدين وشغل المسلمون بالكفاح ضد الأعداء فى الغزوات التى عرفناها فى السيرة فتوجه المجتمع الجديد توجها مختلفا عما كان فى العصر الجاهلى وبدأ الشعراء والخطباء يتجهون الى تشجيع الجهاد

فى سبيل الله والدفاع عن الدعوة الاسلامية فكان للرسول والمسلمين شعراؤهم الذين يتصدون لشـــعراء المشركـــين ويبادلونهم رأيا برأى وحجةبحجة ولا عجب فالشعر سلاح قوى عند العرب وتأثيره لا يقل شأنا عن تأثير السيوف والرماح وبهذا الاتجاه الجديد انصرف شعراء المسلمين الى الدفاع عن القيم والفضائل التى جاء بها الاسلام والتى شغل بها المسلمون وعلى الجانب الآخر كان شعراء المشركين يدافعون عن باطلهم وينغمسون فى ملذاتهم ونفر الاســـلام من هذا الاتجـــاه المنحرف بالشعر حتى جاءت بعض آيات القرآن الكريم تنفر من هذا الاتجاه الشائن وتدعـــو الى نصرة القيم والفضائل قـــال تعـــالى :

« والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقـــولون ما لا يفعـــلون إلا الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروامن بعد ما ظلموا »[١]

ووردت بعض الأحاديث تنفر من قول الشعر الذى ينحو هـــذا المنحى وينحرف عن القيم والمثل العليا .

روى أنه نسب الى النبى صلى الله عليه وسلم قوله (لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا)[٢] وهذا فيما يبـــدو ليس فى الشعر على أطلاقه بل فيما يبعد عن القيم أو نال أصحابـــه من الاسلام ويعد هذا صرفا لهمم الشعراء فى الاتجـــاه بالشعر الى خدمة الفضائل والدفاع عنها وكثيرا ما كانت تجـــرى المناظرات بـــين شعراء الاسلام وخصومه .

وكان الرسول صـــلى الله عليـــه وسلم يســـتقبل الوفود ويترك لشعرائهم المفاخرة ثم يطلب من شاعره حسان بن ثابت أن يفاخرهم

---

(١) سورة الشعراء . الآيات ٢٢٤ ـ ٢٢٧ .

(٢) العمدة ج ١ ص ١٣ والشعر والشعراء ١/٢٦ .

بما جاء به الاسلام من قيم وهى وسيلة من وسائل الاقنـاع فى هذه البيئة الفصحى التى يؤثر فيها الشعر تأثيرا شـديدا من ذلك ما رواه ابن هشام فى كتابه السيرة النبوية من قدوم وفد من أشراف بنى تميم على رأسهم عطارد بن حـاجب بن زرارة وفيهم الأقـرع بن حابس والزبرقـان بن بدر وعمرو بن الأهتم وأخذ الوفد فى المفاخرة فقـام خطيبهم عطارد والقى خطبته فى المفاخرة بقومه فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس الخزرجى بالرد على خطيبهم ولمـا أنشد شاعرهم الزبرقان قصيدته مفاخرا الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :

نحن الـكرام فـلا حى يعادلنا
منا الملوك وفينا تنصب البيـع

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الذى لم يكن بالمجلس آنذاك فقدم ورد على الزبرقان قائلا :

ان الذوائب من فهـر واخوتهم
قد بينوا سـنة للنـاس تتبـع

ولمـا انتهى من قصيدته نظر الأقرع بن حابس الى أصحابه وقال وأبى ان هذا الرجل لمؤتى له لخطيبـه أخطب من خطيبنا ولشـاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أحلى من أصواتنا ثم أسلموا جميعا(٣) .

وبلغ من تأثير الشعر أن الرسول صـلى الله عليه وسـلم كان يستحث الشعراء على مناصرة الاسـلام بما يلقون من أشعارهم فقد قال مرة للأنصار (ما يمنع قوما نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فتقدم اليه حسان وكعب بن مـالك وعبد الله بن رواحة وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوة تأثير شعرهم فقال هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل) .

---

(٣) السيرة النبوية ط الحلبى ٢١٢/٤ .

فلا غرو أن يعرض الشعراء عما كان عليه سلفهم فى العصر الجاهلى ويتجهوا الى نصرة الاسلام ولذا فان هذه الوجهة الجديدة أضعفت الشعر فى الجوانب الأخرى ولذا قال عمر بن الخطاب كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهيت عن الشعر وروايته[٤] .

فاذا أضفنا الى ذلك انشغال الناس بالقرآن الكريم يدرسونه ويشرحونه واتجاههم الى الخطابة بما تتطلبه الدعوة من جهاد أدركنا القول بانشغال العرب عن زخارف الحياة بما يؤدي الى تقلص شعر الغزل ويضاف الى ذلك أن الاسلام يصون المرأة من العبث ويحمى المحصنات من أن تلوكهن الألسنة وقد جاء الاسلام داعيا الى عدم الانحراف والى التخلق بالأخلاق الحميدة فهذا أدى الى انقلاب خطير قوامه دعوة قوية الى الخلق النبيل فرضت نفسها على العالم لنشر دعوة الله فى الأرض فتوقفتتيارات الغزل ولم يعد للغزل الاباحى سبيل فى هذه البيئة الطاهرة ولم يبق من شعر الغزل الا شىء قليل يمكن أن يسمى بالغزل الصناعى .

فقد نجد غزلا فى مطلع بعض القصائد كقول حسان فى مطلع قصيدته عن غزوة بدر :

عرفت ديار زينب بالكثيب
كخط الوحى فى الورق القشيب

تداولها الرياح بكل جون من الوسمى منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقا وامست يبابا بعد ساكنها الحبيب

---

(٤) طبقات الشعراء لابن سلام ص ١ ط بريل وتطور الغزل للدكتور شكرى فيصل ط دمشق ص ١٨٢ .

ثم انتقل الى غرضه فقال :

فـدع عنـك التـذكر كل يـوم ورد حـزازة الصـدر الكئيب
وخبـر بالذى لا عيب فيـه بصـدق غـير أخبـار الكـذوب
بمـا صـنع المليك غـداة بـدر لنا فى المشركـين من النصـيب

ويبدو أن الشعر الاسلامى أخذ طابعا جديدا يختلف عن طابع الشعر الجاهلى سواء فى استعمال الغريب من الألفاظ والحوشى منها أو سذاجة المعانى وعدم تعمقها واستعمال الغزل الصريح ودواعيه والانغماس فى الفسـاد الاجتمـاعى فقد تورع شعراء المسلمين عن الأغراض غير النبيلة ولا سيما الغزل الفاحش وذكر الندامى والقيان والطرب وما يتبع ذلك من شرب الخمر أو وصفها وكان جل همهم مناقضة أهاجى الكفار والدفاع عن الدعـوة والفخر بالانتصـار فى المعارك والفتوحات •

وجـاءت المعانى والألفاظ والأسـاليب متأثرة بألفاظ القـرآن وأساليبه والانتفاع بالمعـانى الاسلامية كأخذ الصـدق وترك الكذب والاعتداد بالثواب والعقاب والبعث وغير ذلك •

الغزل في العصر الأمــوى

استقرت الحياة فى العصر الأموى ودخــل الناس فى دين الله أفواجا فقــوى سلطان العــرب واتسعت دولتهم وأخذ أهــل العصر يجنون ثمار الفتوحات ويستظلون فى ظلال الملك وقد وجدت فى هذا العصر دواع أدت الى نهضة الشعر من أهمها الحياة المترفة الجديدة التى طرأت على المجتمع العربى فى الشام والحجاز فحولته من مجتمع يعيش على الكفاف الى مجتمع القصور والأثــاث الفــاخر والمــال الكثير بعد اتصال المجتمع العربى بالمجتمعات التى دخلت فى الاسلام كما يذكر ابن خلدون يقول انهم بلغوا الغاية من ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف فى الأحوال واستجادوا المطاعم والمشارب والملابس والمبانى والفرش والآنية فأتوا من ذلك وراء الغاية[1] .

وهذا التحول الى الترف والنعمة طبع الشعر بطابــع جديد لم يعرفه العرب من قبل اذ نشأ نوع من الشعر يعبر عن هــذا الترف وتلك النعمة متمثلا فى شعر الغزل الاباحى وشعر الغناء .

وقد أدى ظهور الأحزاب من أمويين وشيعة وخوارج ومرجئــة ومعتزلة وغيرهم الى التنافس فى الوصول الى الحكم وأحقية الخلافة وهى قضايا حاولوا التدليــل عليها وكان لكل حــزب شعراؤه الذين يقفون وراءه .

وقد أدت الثقافة الواسعة فى العصر الأمــوى الى قوة الشعر ونهضته .

---

(١) المقدمــة ط بولاق ص ١٤٤ .

واذا كانت الصراعات والأحزاب قد قامت فى الشــام والعــراق فان بيئة الحجاز كانت فى منأى عن هذه الأخطار مما أدى الى قــوة الغزل بنوعيه المــاجن والعذرى •

وقد كثر الغزل فى هذا العصر ونال حظا من الانتشــار والذيوع لم ينله عصر آخر •

وقد تمتعت المرأة فى هذا العصر بحقوق سياسية تحت دعــوى الحرية ولم تجد حرجا فى التلاقى مع الرجل فى مناسبات كثيرة فمن طبيعة المجتمع العربى انه مجتمع رعوى تنتشر فيه المراعى وهى تجمع الرجل بالمرأة واستمر لذلك الغزل فى البادية فهذا مجنون بنى عامر أحب ليلى وهما صغيران يرعيان الغنم وفى ذلك فيقول :

تعلقت ليــلى وهى ذات ذؤابــة

ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت اننــا

الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم(٢)

وقد عرفنا الغزل قديمــا منذ العصر الجاهــلى وكان ذلك يبدو واضحا فى مطالع القصــائد أو فى أثنائها أو فى بعض المقطوعــات الشعرية لكنه لا يتخذ فنا مستقلا فلما جاء العصر الأموى أصبحت له طبيعة الفن المستقل فرأينا بروز الغنى والثراء فى بعض طبقات المجتمع فى الحجاز والشام وكان لذلك أثره فى ظهور الغــزل اللاهى أو العابث فقد وجد عدد غير قليل من الشباب المترف الذى يجرى وراء المرأة متتبعا خطاها ولا سيما تلك المغنيات اللائى يشغلن دور الغناء ومجالس

---

(٢) الأغانى ٢ ص ١١ •

اللهو والطرب فكان هذا اللون من الشعر الذى يعبر عن حركات المرأة وأمور وجدانية تتعلق بها وكانت المرأة نفسها تعجب بهذا اللون من الشعر وتؤيده ومن المشتغلين به من الشعراء عمر بن أبى ربيعة والعرجى وابن قيس الرقيات فى مكة والأحوص فى المدينة وكان الأحوص يقول :

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا[٣]

ويقول فى احدى المغنيات واسمها الذلفاء :

انما الذلفاء همى فليدعنى من يلوم
أحسن الناس جميعا حين تمشى وتقوم
حبذا الذلفاء عندى منطق منها رخيم
أصل الحبل لترضى وهى للحبل صروم
حبها فى القلب داء مستكن لا يريم[٤]

وفى مكة كان المغنون والمغنيات يمثلون مجتمعا كبيرا تنسج فيه قصص الحب الذى شاع فى تلك البيئة المتحضرة التى تنعم بأشياء كثيرة فى المأكل والمشرب والملبس وألوان الزينة واللهو والمتعة وعبر هذا الشعر عن تبذل المرأة وتطور أحوالها وكان عمر بن أبى ربيعة قد وهب حياته لهذا اللون من الشعر وراح وجاء مع المغنين والمغنيات يصنع لهم الشعر الموزون بأوزان موسيقية أخاذة تاركا وراءه تراث الأجداد من شعر الفخر ومتجها الى هذا الفن الجديد الذى يمثله ديوانه الكبير .

---

(٣) الأغانى ١٥٨/١٢ .
(٤) الأغانى ٢٠٠/٨ .

وقد كانت بعض النساء تطلبن لقاء عمر وأن يذكر أسماءهن في شعره ولا يتورع عمر أن يحدث ذلك في الحج يقول عمر :

يقصد الناس للطواف احتسابا
وذنوبي مجموعة في الطواف[٥]

وكثيرا ما كان عمر يجعل نفسه محبوبا لا محبا معتمدا على ما كان له من جمال الطلعة وتمتع المرأة في ذلك العصر بشيء من الحرية وبروزها للرجال .

ومما ورد في الأغاني للأصفهاني أن عمر أنشد ابن عتيق قوله :

بينما ينعتنني أبصرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر

فقال ابن عتيق للشاعر أنت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك كان ينبغي أن تقول قلت لها فقالت لي فوضعت خدي فوطئت عليه ويصور عمر نفسه بأنه الهاجر للنساء بدلا من أن تهجره النساء ومن ذلك قوله :

قالت لقيمها وأذرت عبرة مالي ومالك يا أبا الخطاب

اطعمتني حتى اذا أوردتني حلأتني لم أستتم شرابي[٦]

ويجعل عمر النسوة ترسلن وراءه الرسل بدلا من أن يرسلهم اليهن يقول مثلا :

---

(٥) الأغاني ١/٨٤ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ، ٢١٤ .

(٦) الموشح ص ٢٠٥ وحلأتني : منعتني .

ان هنــــدا قـد أرسـلت وأخــو الشــوق مرســـل
أرســـــلت تسـتحثنى وتفـــــدى وتعـــذل

والمراد بهند هنا هند بنت الحارث المرية التى أحبها عمر حبا شديدا وله معها قصص كثيرة وكان يسميها فى شعره نعم وذات الخال وكثيرا ما كان يصف اجتماعاتها مع النساء للحديث عنه ومغازلته وللخوض فى أحاديث النسوة التى تعود على معرفتها منهن ومن أمه التى تربى فى حجرها يقول :

ليت هنـدا أنجزتنا ما تعـد وشـفت أنفسـنا مما تجـد
واسـتبدت مـرة واحـدة انما العـاجز من لا يسـتبد
ولقد قـالت لجـارات لهـا ذات يـوم وتعـرت تبترد
أكمـا ينعتنى تبصـرننى عمـر كن الله أم لا يقتصد
فتضـاحكن وقـد قلن لهـا حسن فى كل عـين من تـود
حسـدا حملنـه من أجلهـا وقـديما كان في النـاس الحسد

ومن القصص الطريفة التى وقعت بين عمر وهند أن هندا نزلت بمكان بطريق الطائف مع ثلاث نسوة مقاربات لها فى سنها وبعثن الى عمر خالدا الخريت ليحضره اليهن فى صورة رثـة دون أن يعرف أن الطالب هند ورفيقاتها فذهب اليه وأخبره بأنه مر بنسوة لم ير مثلهن جمالا وبهاء وأنهن نزلن بمكان كذا وأنه يظن أن بينهن هندا ويفضل أن يأتيهن متنكرا فى شملة رجـل أعـرابى ليستمتع بالحـديث اليهن ولا يعرفنه ففعل عمر ذلك ولمـا لقيهن سلم عليهن ثم جلس وقـد طلبن منه المكث معهن الي الليل ثم أخذن يتغامزن وتهمس احداهن الى الأخـرى قائلات :

انهن يعرفن هذا الأعرابى وكأنه عمر ثم مدت احـداهن يدها ونزعت عمامة عمر وقلن له انهن اللائى أرسلن اليه ليرينه على تلك الهيئة وقد طال السهر والسمر مع رفع الكلفة والاحتشـام وقال فى ذلك قصيدته التى مطلعها :

ألم تسـأل الأطـلال والمتـربعا ببطن حليـات دوارس بلقعـا

الى أن يقول :

بهنـد واتـراب لهند اذ الهـوى جميـع واذ لم نخش أن يتصدعا
فقـلت لمطـريهن بالحسن انمـا ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا
فقال : تعال انظر فقلت وكيف بى أخاف مقاما أن يشيع فيشنعـا
فقال اكتفل ثم التثم فـأت باغيا فسـلم ولا تكثـر بأن تتورعـا
فانى سأخفى العين عنك فلا ترى مخافـة أن يفشو الحديث فيسمعا
فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبى لموعـده أزجى قعـودا موقعـا
فلما تواقفنـا وسـلمت أشرقت وجوه زهاها الحسـن ان تتقنعا
تبـالهن بالعرفان لمـا عرفننى وقلن امرؤ بـاغ اكل وأوضعـا
وقـربن أسـباب الصـبا لمتيم يقيس ذراعـا كلما قسن اصبعا
فلمـا تنازعنا الأحاديث قلن لى أخفت علينـا أن نغـر ونخدعـا
فبالأمس أرسـلنا بذلك خـالدا اليـك وبينا لـه الشـأن اجمعا
فما جئتنا الا عـلى وفق موعـد عـلى ملأ منا خرجنا لـه معـا
رأينا خـلاء من عيـون ومجلسا رميث الربـا سهل المحلة ممرعـا
وقـلن كريم نـال وصـل كرائم فحق لـه فى اليـوم أن يتمتعـا

وقد شاع فى شعر عمر القصص الغزلى من أمثال هذه القصة التى سبق ذكرها والقصص الرائع الذى ورد فى رائيته المشهورة التى مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

ويحكى فيها قصة ذهابه الى محبوبته نعم وما خاضه فى طريق الوصول اليها من صعاب ومبيته عندها الى الصباح ثم خروجه متنكرا فى ثياب امرأة ويبدأ القصة بقوله :

وليلة ذى دوران جشمنى السرى
وقد يجشم الهول المحب المغرر

والقصة الشعرية لم تبرز سماتها عند الجاهليين وان كان بعضها قد برز عند امرىء القيس وغيره والمعروف أن القصة تتميز باشتمالها على وصف الحياة الواقعية والطول والذى ينهض بالأمرين معا هو النثر لأنه حديث واقعى لا يجنح الى الخيال وحديث النثر يمكن أن يطول لسهولته أما الشعر فهو محل الوجدان وتحليق الخيال ولا يطول النفس فيه كثيرا لاعتماده على الوزن والقافية وفى العصر الأموى ظهرت القصة عند بعض الشعراء وان لم تكتمل عناصرها وقصص عمر مليئة بالخيال والتحليق فيه الى حد يجعلنا نحس أن العنصر القصصى فيه غير دقيق كما أن قصصه ليست فيه العقدة التى تعد عنصرا من عناصر القصة كما يقول نقاد الأدب[٧] .

وعمر فى شعره ذو أسلوب سهل يناسب الغرض الذى تناوله والمناسبات التى يلقى فيها وألفاظه تبعد عن الغريب والحوشى والنادر وأوزانه قصيرة أو طويلة فيها خفة وموسيقى لم تعهد من قبل

---

(٧) التطور والتجديد فى الشعر الأموى . د. شوقى ضيف ص ٢٥٧ .

وكان المغنون والمغنيات يطلبون هذا الشعر للغناء ولذا جاء شعر عمر وأمثاله سهلا ميسورا •

وعلى حين كان بعض شعراء الحجاز يسيرون فى لون الغـزل الاباحى الذى يعبر عن حسن المرأة ومظهرها الخلاب كان مجتمع آخر فى منطقة نجد وبوادى الحجاز يعيش فى حالة بدوية خالصة تابعة لتراث الأسلاف فى طرق المعيشة وشظفها معتمدين على مواقع الغيث وما تخرجه الأرض من المراعى والنبات وكان بعضهم يغزو المنـاطق المجاورة له من المتحضرين أو البداة للحصول عـلى القـوت أو الكلأ أو تحقيق مآربهم الأخرى وقد نما بينهم نوع من الحب يقوم عـلى الطهارة والعنف وهو الحب العذرى نسبة الى قبيلة عذرة كما قلنـا وقد عرفت بهذا اللون قبائل أخرى مثل قبيلة بنى عامر وللاسلام أثر فى هذا اللون الغزلى باتجاهه الى النقاء والطهر بعيدا عن النواحى المـادية للمرأة أو المتصلة بالمحسوس •

وأستاذ هذه المدرسة هو جميـل بن عبد الله بن معمر ، وكان جميل يشبب بامرأة تسمى بثينة بنت حبأ بن ثعلبة وقد توطدت المودة بينهما حينما كان يرعى ابله فى وادى بغيض فهاجت بثينة فصـاله فجرى سباب بينهما يقول :

وأول مـا قـاد المـودة بيننـا ... بـوادى بغيض يا بثين سـباب

فقـالت لنا قـولا فجئنا بمثـله ... لكل سـؤال يا بثين جـواب

وكان لهما لقاءات ولـما عرف أمره عند أهلها استعدوا عليه عامر ابن ربعى أمير وادى القرى فـأنذره باهدار دمه وهـاجر الى مصر وقد تزوجت بثينة برجل يدعى نبيه بن الأسود العذرى على كره منها ومع ذلك ظلت وفية لحبها لجميل •

وشعر جميل فى بثينة يبدو فيه الهدوء والرقة وأحيانا يعمد الى الغضب والثورة ففيه أمل فى بثينة وشفاء نفســه من غليانها وفيــه طموح الحب وشدتــه .

يقول هادئا مستجبا لداعى الحب :

وأنت التى ان شئت كدرت عيشتى
وان شـئت بعد الله انعمت باليـا
وما زلتم يا بثن حتى لو اننى
من الشوق استبكى الحمام بكى ليا
وما زادنى النــأى المفــرق بعدكم
ســلوا ولا طــول التــلاقى تقاليا
ولا زادنى الواشــون الا صــبابة
ولا كثــرة الناهين الا تماديــا
ألم تعــلمى يا عذبة الريق أننى
أظــل اذا لم ألــق وجهك صــاديا
لقد خفت أن القى المنية بغتــة
وفى النفس حاجات اليك كما هيا(٨)

وهو فى هذا اللون من الشعر وادع رقيق عــلى حين أنه قــد يثور ويغضب كما يقول :

فمــا هــكذا أحببت من كــان قبلها
ولا هــكذا فيمــا مضى كنت تفعــل

---

(٨) الأغانى ٨ ط الشعب ص ٢٨٧١ ، ٢٨٧٢ .

فيا قــلب دع ذكــرى بثينــة انها
وان كنت تهواها تضن وتبخــل

وقــد أيأست من نيلها وتجهمت
ولليــأس ان لم يقــدر النيــل أمثل

والا فسـلها نائــلا قبــل بينهــا
وابخل بها سئولة حــين تسأل

وكيف ترجى وصــلها بعد بعدها
وقــد جذ حبـل الوصل ممن تؤمل

وان التى أحببت قد حيــل دونهــا
فكن حــازما والحــازم المتحــول

ففى اليأس ما يسلى وفى الناس خلة
وفى الأرض عمن لا يواتيك معزل[٩]

وهنــاك قصص جرت مــع جميل وبثينة على يد راويه كثير عزة ومن ذلك القصة التى وردت فى الأغانى من أن جميلا طلب من راويــه كثير أن يذهب الى بثينة ويأخذ منها موعدا للقائه فذهب كثير اليها بعد أن عرف من جميل أن آخر مكان للقائهما كان فى وادى « الدوم » وهناك وجد عمها الذى كان يعجب بالشعر فقال له اسمع ما أنشدته اليــوم فقال له هات فراح ينشد :

فقلت لها يا عز أرســل صاحبى   علــى نأى دار والرسـول موكل
بأن تجعــلى بينى وبينــك موعدا   وأن تأمرينى بالذى فيــه أفعــل
آما تذكرين العهد يــوم لقيتــكم   بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

---

(٩) الأغانى ط الشعب ٢٨٧٦/٨ .

ففهمت بثينة وقالت كلب يأتينا من وراء الرابية ثم أرسلت تطلب حطبا من الدوم لاكرام كثير ففهم أن الموعد فى هذا المكان[١٠]

ويأتي وصف الجسد في الشعر العذرى قليلا كقول جميل :

فتـاة من المـران ما فـوق حقوها
وما تحتـه منهـا نقـا يتهيـل[١١]

ومن الشعراء العذريين قيس بن ذريح صـاحب لبنى وقيس بن الملوح مجنون ليلي بني عامر صاحب ليلى وعروة بن حـزام صاحب عفراء وكثير عزة ٠

والشعر العذرى يمتلىء بالخيـال ويبدع شعراؤه فيـه وتبدو الصور المحسوسة التى تتناول الصحراء وجمالها وما فيها من حيوان يقول جميل :

ان المنـازل هيجت اطيـرابى
واستعجمت آيـاتها بجـوابى

قفـرا تلوح بـذى اللجين كأنهـا
انضـاء رسـم أو سـطور كتـاب

ويقـول :

سبتنى بعينى جـؤذر وسـط ربرب
وصـدر كفاثور اللجـين وجيـد

وقد احيط الغزل العذرى بهـالات من التوسـع الى أن يقـول الجاحظ ما ترك الناس شعرا مجهول القـائل قيل فى امرأة تسـمى

(١٠) الأغانى ح ٦/٧٦ ط بولاق ٠
(١١) الأغـانى ٨/٢٨٧٦ ٠

ليلى الا نسبوه لقيس بن الملوح ولا شعرا هذه سبيله قيل فى لبنى الا نسبوه لقيس بن ذريح .

وهذا قد دفع بعض الباحثين (وهو طه حسين) الى أن يشكك فى نشأة الغزل العذرى وكأنه ليست له حقيقة واقعة فيقول : (ان الغزل العذرى فى البادية نشأ نتيجة الفقر والبؤس وضيق ذات اليد فانصرف أهلها الى التفكير فى المثل الأعلى ونشأت فيهم نزعة مشبهة بالتصوف والانصراف الى المثل الأعلى فى الحياة الخلقية كأنهم قد حيل بينهم وبين لهوهم)(١٢) .

وليس من اليسير على الباحث أن يوافق على أن الفقر والبؤس يصرفان الى المثل الأعلى وينتجان مثل هذا الحب العفيف ولعل الأولى بالفقير المحتاج أن يثور على المجتمع الذى حرمه ما أباح للآخرين وأن يفكر فى مخرج يلوذ به من فقره وحاجته ، واذا قال قائل ان الثورة على المجتمع لجوره فى توزيع الثروة لا تصدر الا عمن يدرك ذلك ادراكا واضحا فادراك ذلك عند هؤلاء الأعراب بعيد ، فالجواب ان ادراك ذلك أكبر عليهم من ادراك المثل الأعلى فى الحياة الخلقية اذ ان حاجة الجسم الى الطعام والشراب والملبس أبلغ بلا ريب من حاجة الروح الى المثل الأعلى والجاحظ على حق حين يقول : (ورجلان من الناس لا يعشاق عشق الاعراب أحدهما الفقير المدقع فان قلبه يشتعل من التوغل فيه وبلوغ اقصاه والملك الضخم الشأن لأنه فى الرياسة الكبرى وفى تلبية الأمر ونفاذ النهى وملك رقاب الأمم ما يشغل قوى العقل عن التوغل فى الحب والاحتراق فى العشق)(١٣) .

وأما ان أهل البادية قد حيل بينهم وبين لهوهم فى الجاهلية فصرفهم ذلك الى الحب العفيف فيكفيه انا لا نعرف من الذى حال بينهم

---

(١٢) حديث الأربعاء ج ١ ص ٢٣٧ .
(١٣) رسائل الجاحظ الرسالة السابعة ص ١٦٦ .

وبين لهوهم أهى السلطة الحاكمة ؟ اذن فكيف ذلك مع انها أباحت لأهل الحرمين وغيرهم من أهل المدينة ذلك ولست أظن ان السلطة تغفل ذلك بالنسبة للاعراب وهم مصد ر الشغب واثارة الفتنـــة ، عـــلى أن فى كلام الدكتور طه حسين لمحة قيمة مـــر بها سريعا وهى أثر الاســـلام فى نفوس القوم وأثر القرآن وما أحدثه فى الحياة الاجتمـــاعية عند العرب .

ونمضى مع الدكتور طه حسين فى اطار حملته على الأدب العربى ولا سيما الغزل العذرى اذ يزعم أن قصص الشعراء العذريين قصص مخترع وأن أشخاص هؤلاء الشعراء مثل جميـــل وقيس والمجنـــون شخصيات وهمية وأن من يتأمل فى قصص هؤلاء الشعراء يجدها متكلفة فمثلا قصة جميل بثينة يدعى الدكتور طه حسين انها قصة تناقض بعضها بعضا وذلك حين قال : فانك تجد فى غير موضع من أخبار جميل ضروبا من الرمز والألغاز بين هذين العاشقين حين كانت تتصل بينهما الرسائل وأرى أن أروى لك بعض هذه الألغاز لتشعر معى انه متكلف من غير شك ولتغنينى عن الاستدلال ، تحدث كثير قـــال لقينى مرة جميل فقـــال من أين أقبلت ؟ قلت من عند أبى الحبيبة — أعنى بثينة — فقال والى أين تمضى ؟ قلت الى الحبيبة — أعنى عزة — فقال لابد أن ترجع عودك على بدئك فستجد لى موعدا من بثينة نقلت عهدى بها الســـاعة وأنا أستحى أن أرجع فقال لابد من ذلك فقلت له فمتى عهدك ببثينة فقـــال فى أول الصيف وقد وقفت سحابة بأسفل وادى الدوم خـــرجت معها جارية لها تغسل ثيابها فلما أبصرتنى انكرتنى فضربت بيديها الى ثوب فى المـــاء فالتحفت به وعرفتنى الجارية فأعادت الثـــوب فى المـــاء وتحدثنا حتى غابت الشمس ثم سألتها الموعد فقالت أهلى سائرون ولم أجد أحدا آمنه فأرسله اليها فقال له كثير فهل لك فى أن آتى الحى فاتمثل بأبيات من شعر أذكر فيها هذه العلاقة ان لم أقدر على الخلوة بها فقال : ذلك الصواب فارسله اليها فقـــال له انتظرنى ثم خـــرج

كثير حتى أناخ بهم فقـــال له أبوها ما ردك ؟ قـــال ثـــلاثة أبيـــات عرضت لى فأحببت أن أعرضها عليك الى آخر القصة[١٤] .

يقول الدكتور طه حسين فذهابه للقيا حبيبته وقولها كلب يأتينا من وراء الرابية فجعلت صاحبها كلبا أمر متناقض ثم يعلق على هذه القصة بأنها متناقضة فكيف تقابل كثير مع جميـــل مع اتيانه من عند أبى حبيبته ثم ما فى الأبيات المذكورة من تكلف وانخداع أبى بثينـــة الى هذا الحد ثم يقول معقبا على ذلك (أظن أنى لست فى حاجـــة الى أن أقول (ان هذه القصة نوع من هذه النـــوادر التى يتندر بهـــا الناس)[١٥] .

ويرى الأستاذ العقاد أن هذا الادعاء غير صحيح اذ يقول فبعض هذا التناقض يثبت القصة فى جملتها ولا ينفيها لأنه يرينا ان القصة واقعة ينقلها ناس كثيرون ويسجلونها عن شتى المصـــادر وليست من الاختراع الموضوع الذى يلفقه ملفق خاص فيقدر عـــلى التوفيق بين أجزائه والمقابلة بين أطرافه[١٦] .

ويقول فى مكان آخر ردا عليه (ان اختلاف تقدير الرواة ربما يكون من أسباب توكيد الخبر أو ترجيحه ولم يكن من أسباب استبعاده ونفيه كما ان ذلك التناقض بناء على أن الأخبار تتناقل شفاها من غير تدوين فى أول الأمر وذلك يجعل الدقة فى الرواية أمرا بعيد المنال ، وثابت ان مادة الاخبار شىء فيه غرابة وفيه طرافة وقـــل ان يسلم الخبر الطريف من فعل الخيال ومن تزيد ويبدو لنا أن بثينـــة خدعت أباها وهى لم تجعل صاحبها كلبا بل نطقت بهذه العبـــارة حتى تعمى على أبيها وكأن كلبا قد قدم ويقتضى الأمر رده وابعاده حتى يشغل

---

(١٤) انظر ص ٥١ ، ٥٢ من هذا البحث .
(١٥) حديث الأربعاء ص ١٢٧ .
(١٦) جميل بثينة للاستاذ العقاد ص ٤٨ .

عن الموضوع الذى تكلم فيه كثير فهو موقف أحسنت فيــه التصرف ولا يمكن أن يعد ذلك دليلا على الشك فى القصة أو صحتها ويســوق الدكتور طه حسين قصصا أخرى تناقض فى نظره الحب العذرى ومنها أن جميلا لقى بثينة على موعد وبات عندها وأصبحت فلم تره الا وقد ارتحل عنها وقال فى ذلك :

فمن يك فى حبى بثينــة يمترى
فخرقــاء ذى ضال عــلى شهيد

وقد أجاب الأستاذ العقاد عن ذلك فقــال : ان هــذا لا يوهم الخيانة التى تعارض الحب العذرى لأن جميلا انسان كسائر الناس لا نحــكم عــلى عمل من أعــماله بالمناقضــة والنفى الا اذا ناقض الطبيعة البشرية وكذب ما تواتر من أخبار الناس ولذلك فلا تناقض لأنه يجرى على الطبيعة البشرية ومن عادة الناس أن يخالفوا المثــل العليا أو من دأب الأمانى الاجتماعية أنها تراد وتخــالف ونرى أن الناس لا يريدونها ويخالفونها •

الخصائص الفنية لشعر الغزل فى العصر الأموى

لا ريب أن الغزل المــاجن أو اللاهي نشأ عند الشباب المترف فهو فن يتصل بالحضارة والترف آنذاك ويخلو صاحبه من أن يشــعر بالألم أو العذاب اذ هو نوع تدعو اليه الغريزة البشرية فلا صلة لهذا الحب بالقلب وانما يصور التمتع باللقاء ويصور الهواجس التى تحدث فى مجتمع النساء كالغيرة والحسد وعنده الفتيات كثر يستمتع باللهو والعبث فى شوق حضري دون تعبير عن شعور يتصل بالنفس أو القلب وقد صور عمر بن أبى ربيعة هذا الغزل المــادى المترف فى قصــائده التى تعبر عن لهو واضاعة للوقت فى قصص اجتماعية مع فتياته فهو يحب هندا التى تتحدث مع جاراتها عن اعجاب عمر بها وعن مجالسهن

وهن يتحدثن عنه وعن حسدهن لها على علاقتها به ويحكى عمر القصة فى شعره فلا تتدفق فيها العواطف الجياشة بقدر ما تتدفق موسيقى الشعر الذى يصلح للغناء واللهو •

يقول مثلا عن اجتماع هند وصاحباتها وغزله فيها :

ليت هذا أنجزتنا ما تعد   وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة   انما العاجز من لا يستبد

ولقد قالت لجارات لها   ذات يوم وتعرت تبترد

أكما ينعتنى تبصرننى   عمركن الله أم لا يقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها   حسن فى كل عين من تود

حسدا حملنه من أجلها   وقديما كان فى الناس الحسد

وقد كانت موجة الغناء والرقص فى الحجاز فى هذا العصر دافعة الى تطور موسيقى الشعر الغنائى فتركت الأوزان الطويلة التى عرفت فى العصر الجاهلى كالبسيط والطويل والكامل وحلت محلها أوزان أخرى كثر النظم فيها مثل الوافر والرمل والمتقارب واذا أتى الشعر على الأوزان الطويلة تحور وتجزأ هذا كله ليتيسر للمغنين أن يشاكلوا بين الأشعار وأصوات غنائهم فى ايقاعات موسيقية خاصة وأهم شاعر قام بجهد وافر فى ذلك عمر بن أبى ربيعة فكان أقرب شعراء الحجاز الى ذوق المغنين وفى الأغانى كثير من مقطوعاته ومنها صوت ابن سريح وهو من مجزوء الخفيف •

قل لهند وتربها   قبل شحط النوى غدا

ان تجودى فطالما   بت ليلى مسهدا(١٧)

---

(١٧) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٥٥ ، ٥٦ •

أما الشعر العذرى فهو شعر يقوم على عاطفة جياشة وشعور صادق فالشاعر يكون مشغوفا بمن يحب مصابا بكثير من الآلام والعذاب فى حبه ولوعته فهو مصاب باللهفة والظمأ الى لقاء المحبوب ظمأ لا يروى أبدا ويتوجع ويئن ويذرف الدمع مدرارا لذكرى صاحبته وحرمانه من لقائها ويتحرق شوقا اليها فهى فرحته ودنياه يقول جميل :

وهل ألقين فردا بثينة مرة
تجود لنا من ودها ونجود

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل
الى اليوم ينمى حبها ويزيد

اذا قلت ما بى يا بثينة قاتلى
من الحب قالت ثابت ويزيد

وان قلت ردى بعض عقلى اعش به
مع الناس قالت ذاك منك بعيد(١٨)

وكان الناس أيضا يغنون هذا اللون من الشعر ويعجبون به ويروونه مع القصص التى تصاحبه .

وقصائد هذين اللونين من الغزل قد تطول أحيانا ولكنها فى معظمها مقطعات يسهل حفظها وتداولها ولغة هذا الشعر سهلة ألفاظها مألوفة وعباراتها عذبة رشيقة نحس كأنها لغة العصر الذى نعيش فيه أو أنها من الأحاديث الشعبية اليومية التى كان يتخاطب بها الناس فى المدينة ومكة وبوادى نجد والحجاز فهى بعيدة عن العسر أو التعقيد ولذا كانت تتداولها الألسنة .

---

(١٨) الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور . د. شوقي ضيف ص ٤٧ ، ٤٨ .

ولما كانت هذه القصائد معرضة للغناء فقد اعتمد الشعراء الغزليون على الموسيقى والمواءمة بينها وبين الأوزان السهلة الخفيفة[١٩] .

ورائد هذا اللون شعراء أمثال عمر بن أبى ربيعة الذى كان يخفف من هذه الأوزان حتى يعجب بها المغنون ولذلك نجد كثيرا من شعره تعد أصواتا غنائية فمن صوت ابن سريج قول عمر :

قل لهند وتربها قبل شحط النوى غدا!
ان تجودى فطالما بت ليلى مسهدا[٢٠]

وكذلك قوله :

أصبح القلب مهيضا راجع الحب الغريضا
واجد للشوق وهنا ان رأى برقا وميضا[٢١]

وكان هؤلاء الشعراء يصورون عواطفهم فى أسلوب حوارى يحمل مشاعرهم سواء كان ذلك عذريا أو ماجنا ولكن أصحاب الغزل العذرى لا يعرضون للجسد أو ما يتصل به الا قليلا .

والشعر العذرى يوضح ما للحبيبات من سلطان على الشاعر فهذا أبو صخر الهذلى يقول:

أما والذى أبكى وأضحك والذى
أمات وأحيا والذى أمره الأمر

---

(١٩) الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ص ٤٧ وما بعدها .

(٢٠) الاغانى ٥٩/١ .

(٢١) الاغانى ١٧٨/١ .

لقـــد كنت آتيها وفى النفس هجرها

بتاتا لأخـــرى الدهـــر ما طلع الفجر

فمـــا هـــو الا أن أراهـــا فجـــاءة

فأبهت لا عـــرف لـــدى ولا نـــــكر

وأنسى الذى قد كنت فيـــه هجرتها

كما قـــد تنسى لب شاربها الخمـــر(٢٢)

وهو يشتمل على صور وتعبيرات أدبيـــة من الكنايات والتشبيهات والاستعارات فهذا العباس بن الأحنف يقول :

يا قـــابس النار قد أعيت قوادحـــه

اقبس اذا شئت من قلبى بمقياس(٢٣)

ويقول مجنون ليلى :

ألا انمـــا غـــادرت يا أم مـــالك

صدى أينما تذهب به الريح تذهب(٢٤)

ولا ريب أن شعراء هذا العصر قلدوا من سبقوهم فى تشبيهاتهم وأخيلتهم لأن البيئة لم تختلف فبيئة الباديـــة عند الشعراء العذريين ما زالت ماثلة أمام أعينهم وبيئة الترف موجودة عند شعراء الغـــزل الماجن وهم ينتزعون الصور منها فلا غـــرو اذا رأينا تشبيها بالقمر أو الشمس أو السير فى الصحراء والتأثر بوهج الحرارة اللافح كما قـــال فى قصيدته الرائية المشهورة :

أم آل نعم انت غـــاد فمبكر

غـــادة غـــد أم رائـــح فمهجـــر

(٢٢) شرح الحماسة للتبريزى ١١٩/٣. والامالى ١٤٩/٢ .
(٢٣) محاضرات الادباء ٤٨/٢ .
(٢٤) المصدر السابق ٥٢/٢ .

ثم يقـــول :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضـــحى وأمـــا بالعشى فيخصر

أخـــا ســـفر جواب أرض تقاذفت
بـــه فلوات فهـــو أشعث أغبـــر

ومن الكنايات الرائعة قوله :

قليـــل علـــى ظهـــر المطيـــة ظلـــه
ســـوى مـــا نفى عنـــه الرداء المحبر

وأعجلهـــا من عيشـــها ظـــل غرفة
وريـــان مـــلتف الحـــدائق أخضر

وتمتاز قصائد شعر الغزل بما امتاز به الشعر فى هذا العصر من قوة ورصانة كما ذكرنا من نهضة الشعر وبواعث هذه النهضـــة من قبـــل .

وكان الشـــعراء فى هذا العصر ما يزالون يقـــلدون سابقيهم من الشعراء فى صنعة القصائد والعناية بها على نحو ما كان يفعل زهير وأضرابه من عبيد الشعر فقد كانوا لحرصهم عـــلى أن تتم الموسيقى يتكلفون لزوم ما لا يلزم كما فعل كثير فى قصيدته التائية :

خـــليلى هذا رســـم عـــزة فاعقـــلا
قلوصـــيكما ثم ابـــكيا حيث حـــلت

فأورد اللام المشددة قبل التاء فى القصيدة كلها وفتح بذلك بابا لطريقة اللزوميات التى اتبعها أبو العلاء[٢٥] .

---

(٢٥) الفن ومذاهبه ص ٣٧ .

وتبعوهم كذلك فى الاقتنان فى الأسلوب المعتمد عـلى النفى المتقدم بما ليصور منزلة المحبوبة عنده وأثر فراقها فى نفسه .

فالأعشى يقول :

ما روضـة من رياض الحزن معشبة
خضراء جـاد عليها مسـبل هطـل

يضاحك الشمس منهـا كوكب شرق
مـؤزر بعميم النبت مكتمـل

يوما بأطيب منهـا نشر رائحـة
ولا بأحسـن منها اذ دنـا الأصـل

ويقول كثير :

فما روضـة بالحـزن طيبـة الثرى
يمج النـدى جنجاثهـا وعرارهـا

بمنخـرق من بطن واد كأنمـا
تـلاقت بـه عطـارة وتجـارها

بأطيب من أردان عـزة موهنـا
وقد أوقـدت بالمندل الرطب نارها

ويقول عمـر :

وما صـائب من نابـل قذفت بـه
يـد وممـر العقـدتين وثيـق

بأوشـك قتـلا منـك يـوم رميتنى
نوافذ لم تظهـر لهن خـروق[٢٦]

---

(٢٦) انظر الأغانى ١٢٣/٨ وتهذيب الكامل ٢٣/٢ وانظر : الغزل فى العصر الجاهلى للدكتور الحوفى ص ٣٨٠ — ٣٨٣ .

أشهر شعراء الغزل في العصر الأموي

رائد الغزل العذرى جميل بثينة

نشـــأته واخـــلاقه :

ولد جميل فى البادية بالحجــاز فى وادى القرى وكانت ولادته فى أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجرى وقضى أكثر حياته فى الحجاز وارتحل الى اليمن ثم رجع الى الحجاز حتى غادره الى مصر قبيل وفاته فمات بها سنة ٨٢ وكان طويلا عريض المنكبين حسن الصوت لطيف العشرة سليم الذوق حلو النادرة وكان صادق الصبابة والعشق لا تهتف نفسه الى منــكر وكان ثريا ثــراء كبــيرا فصيحا خالص الفصاحة عن صدق عاطفة الى درجة جعلته محط أنظار قبائل البدو ومن أخلاقه أنه كان وفيا غيورا على أهله وكان يتمتع بقدر من الخيلاء لانتمائه الى قوم ذوى منعة وعزة ومما يدل عــلى ذلك أن عمر بن أبى ربيعة والأحوص ونصيبا اجتمعوا فى مكان ثم أرســلوا اليه راويته يدعونه اليهم فعظم جميل نفســه وســأل صاحبه متبرما أما كان عندك من المعرفة بى ما كان يمنعك عن الاتيان بمثل هذا ؟ قل لابن أبى ربيعة ان كنت قرشيا فانه قرشى وان كنت شاعرا فهو أشعر منك قــال راويته هذا اذا كان الحكم اليك فقال والى من هو ؟ ومن أولى به منى ؟ ثم رجع الرسول وأخبر بما قيل له فذهبوا اليه فوجدوه جالسا فما أوسع لهم من مجلسه •

مكانته الأدبيــة :

توافر لهذا الشاعر من ضروب الاجادة والاحسان ما جعله أمام الغزل العذرى وقد أعطى شعره صورا متدفقــة تشتمل على عواطف

جياشة تعبر عنها الأساليب العربية فى بيانها الرائـــع بما أسهم فى الأدب بدرجة كبيرة وتأثر جميل بالحياة وتأثرت بـــه وكان بعضهم يفضله على نفسه كما ورد من أن كثيرا كان راوية جميل وكان يقدمـــه على نفســـه[١] .

وهو المقدم على سائر العذريين من أهـــل الباديـــة[٢] كما ان المستشرق كارلو نالينو يقرر أنه أشعر الشعراء جميعا[٣] .

وهذا لأنه نشأ نشأة أدبية صالحة فى مدرسة الشعر فكان راوية هدبة بن خشرم فاجتمعت له الرواية والشعر وكان بعض المشهورين الذين يعلمون الشعر فى زمانه يفضلونه على كافة الشعراء ويقولون أيضا انه أشعر شعراء الاسلام والجاهلية ولعل ذلك من جهة النسيب فقط ولك أن تذكر هذا التفضيل له من ناحية أغراضه ومعانيه وقد كانت منزلته معروفة بين شعراء عصره معترفا له بينهم بالاجادة ويبدو ذلك من اقتباس بعض الشعراء من شعره كالفرزدق وكثير وهذا يشهد له بالتقدم وقد ظلت هذه المنزلة بارزة له فى العصور التالية ومن ذلك فى العصر العباسى أن ابن الحسين المهلب لقى أبا العتاهية فاستنشده من شعره فأنشده فاستنشده فى الغزل فأنشده :

كأنهـــا مـــن حســـنها درة   أخرجهـــا اليـــم الى الســـاحل
كـــأن فيهـــا وفى طرفهـــا   ســـواحرا أقبـــلن من بابـــل

---

(١) الأغـــانى ٨ ص ٩١ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٦٠ .

(٣) تـــاريخ الآداب العربيـــة من الجـــاهلية حتى عصر بنى اميـــة ط ١٩٥٤ ص ١٢٠ .

لم يبــق متى حبهـــا مــا خـــلا حشـــــاشة فى بـــدن ناحـــل
يا من تــرى قبــلى قتيــلا بــكى من شـــدة الوجــد عــلى القــاتل

فقال له يا أبا اسحاق هذا قول صاحبنا جميل :

خليلى فيمـــا عشتما هـــل رأيتمـــا قتيـــلا بـــكى من حب قاتله قبلى

فهذا يدلك على أن شعر جميل كان يقرأ ونال منزلته فى النفوس عند فحول الشعراء وبذلك استحق مكان الصـــدارة لشعراء الغـــزل العـــذرى •

أشهر شعراء الغزل اللاهى

عمــر بن أبى ربيعــة

نشــأته وأخــلاقه :

من المتفق عليه انه ولد سنة ٢٣ واختلف فى سبب وفاته قيل مات حتف أنفه وقيل مقتولا وقيل مات سنة ٩٣هـ كما قيل غير ذلك .

كان من سادة بنى مخزوم ومن أكبر بيوتات قريش وكان جــده أبو ربيعة يسمى ذا الرمحين لطوله كأنه كان يمشى على رمحين وقيــل انه قاتل يوم عكاظ برمحين فسمى بهما لذلك وكان أبوه يدعى بحــيرا فسماه النبى صلى الله عليــه وســلم عبد الله وكان تاجــرا موسرا واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على ولاية الجند وسوادها (فى اليمن) ولم يزل عاملا عليها الى مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل امتدت ولايته الى عهد عثمان وكان له عبيد كثيرون اما أم الشاعر فكانت سبية من حضرموت أو من حمير يقال لها (مجد) ومن هنا أتاه الغزل كما قالوا فى زمانه غزل يمان ودل حجازى .

نشأ عمر فى النعمة وتغزل واتفقت أقوال كثيرة على نسكه فى شيبه وتوبته ويتضمن ديوانه بضــعة آلاف بيت ويستغرب قــارىء الديوان لأن جميعه فن واحد ولكن سرعان ما يزول اذا عرفنا عصره الذى عاش فيه فما من شخص الا وقد ضرب فيه بسهم حلالا كان أو حراما ، رووا أن عبد الله بن عباس كان يوما بالمسجد اذ أقبل عمر بن

أبى ربيعة فأقبل اليه ابن عباس يستنشده من شعره فأنشه الرائيـة التى مطلعها :

أمن آل نعم انت غـاد فمبـكر .. .. الخ .

حتى أتمها فالتفت اليه نافع بن الأزرق قائلا : الله الله يا ابن عباس انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتاقل عنا ويأتيك غلام مترف فينشدك :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت

فيخـزى وأمـا بالعشى فيبخسر

فبادره ابن عباس قائلا ليس هكذا قال انما قال :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت

فيضحى وأمـا بالعشى فيخصر[1]

وعجب نافع من حفظ ابن عباس للبيت فأعاد عليه القصيدة كما جاء فى بعض الروايات من مطلعها الى ختامها وقال لن لامـه انما نستجيدها[2] .

مكانته الأدبيـة :

كان عمر بن أبى ربيعة اماما فى هذا الفن الغزلى غير مدافـع وكان متقنا لهذه الصناعة لأنه كان على يسار يعينه على اللهو والفراغ وللوراثة دخل فى غزله اذا صح ما قيـل ان أمـه كانت أم ولد من

---

(١) يخصر : يبرد .

(٢) شاعر الغزل عمر بن أبى ربيعة للعقاد ص ١٦/١٧ .

حضرموت أو من حمير وترد فى شعره أبيات تنم عن ولعه بكلمات النساء واستمتاعه بروايتها كقوله :

قالت ثريا لأتراب لها قطف[٣]
قمن نحى أبا الخطاب عن كثب
فطرن جدا لما قالت وشايعها
مثل التماثيل قد موهن بالذهب

ويقول العقاد (ابن أبي ربيعة من أحسن النماذج الأدبية التى يتجلى فيها الفرق بين الامامة فى الطبقة الشعرية والامامة فى الصناعة الشعرية) ثم يقول (هو أصلح من يمثل شعراء عصره المشهورين بالغزل فى أكثر من امرأة ولهذا يفضله كثيرون فكانت فرقة من قريش لا تعدل بشعره شعرا قط وقد تستحسن منه ما يقبح من غيره وكان بعضهم يزعم أن العرب كانت تقر لقريش بالتقدم فى كل شىء عليها الا الشعر حتي كان عمر فأقرته لها الا أن ذلك يظهر عليه التكلف والمبالغة وقال نصيب هو أوصفنا لربات الحجال وروى عن الفرزدق انه سمع طرفا من نسيبه فقال : هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه وسئل عنه حماد الراوية فقال فى شعره (ذلك الفستق المقشر) وهذا يدل على براعته فى الشعر .

---

(٣) تمشين ببطء .

موازنة بين جميل وعمر أيهما أشعر

هناك خلاف بين القدماء والمحدثين حول تفضيل أحدهما على الآخر والواقع انهما كانا متكافئين فى الشاعرية لا يمكن تفضيل أحدهما على الآخر والذى يمكن أن يقال ان جميلا قد اقتبس بعض الأبيات من عمر لأن الشاعر البدوى أراد أن يقلد الشاعر الحضرى ومن ذلك أنه نسب لجميل .

قالت وعيش أخى وحرمة والدى
لأنبهن الحى ان لم تخرج

فخرجت خيفة أهلها فتبسمت
فعلمت أن يمينها لم تحرج الخ

وفى هذا الشعر عبث ومجنون لا يليق بجميل بثينة وانما يليق بعمر ولأن الشاعرين متعاصران فقد كان كل منهما يعارض الآخر فاذا قال جميل قصيدة قال عمر مثلها فيقال ان عمر أشعر فى الرائية والعينية التى مطلعها :

لقد حببت نعم الينا بوجهها
مساكن ما بين الوثائر والنقع[1]

---

(١) الوثائر موضع ما بين مكة والطائف والنقع موضع قرب مكة وانظر الجزء الثانى من الأمالى ص ٧٤ .

وأن جميلا أشعر فى اللاميـــة وقيـــل ان رائية عمر كأنها مسلوخة من قصيدة جميل التى مطلعها :

أغـــاد أخى من آل ســـلمى فمبـــكر
ابن لى أغـــــاد أنت أم متهجـــــر

مع اختلاف فى الألفاظ •

ومع جزالة ألفاظ جميل فقصيدة عمـــر ألطف نظما وفيها قصـــة بديعة وهذا يرجح أن عمر نظم قصيدته بعد قصيدة جميل لأن المعارض اذا كان من طبقة المعارض فانه يلجـــأ الى بذل الجهد والتأنى لينـــال السبق •

ويرى الدكتور جمال الدين الرمادى ان جميلا هو الذى نظم قصيدته الرائية على غرار قصيدة عمر واستدل لذلك ببعض الأبيـــات المشتركة فى القصيدتين مثل قول عمر :

اذا حـــذرت رجـــلى أبوح بذكرهـــا
ليذهب عن رجـــلى الحذور فيذهب

وقول جميل فى المعنى نفســـه :

اذا حـــذرت رجـــلى وقيـــل شفاؤها
دعـــاء حبيب كنت انت دعائيا

وقال ان معنى جميل بن معمر أجمل من معنى عمر بن أبى ربيعة رغم ما كان بينهما من تفاوت المكانة الشعرية[1] •

---

(١) جميل بن معمر للدكتور الرمادى ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

والذى يدل على أن كلا منهما كان يعارض الآخر ويتأثر به ما ورد فى كتب الروايات من اجتماع جميل وعمر ومن ذلك ما قيل من أنــه اجتمع جميل وعمر بالأبطح وأنشد كل منهما صاحبه شعرا ففضــل جميل عمر على نفسه وقال الشيخ داود الانطاكى الذى يظهر أن جميلا أشعر مطلقا عند التأمل فى قوله :

وقــد قلت فى حبى لــكم وصبابتى
أحــاديث شــوق شرحهن يطــول

فمــا غــاب عن عينى خيالك لحظــة
ولا زال عنهــا والخيــال يزول

ويقول أبو اسحاق :

دخلت على الرشيد يوما فقال لى يا أبا اسحاق أنشــدنى أحسن ما تعرف فى عتاب محب وهو ظالم متعتب .

فقلت يا أمير المؤمنين قول جميل :

رد المــاء ما جــادت بصفو ذنائبــه
ودعــه اذا غيضت بطــرق مشــاربه

أعــاتب من يحــلو لــدى عتــابه
واتــرك من لا اشــتهى واجانبــــه

ومن لــذة الدنيــا وان كنت ظالمــا
عنــاقك مظلومــا وانت تعاتبــه

فقال أحسن والله أعدها على فأعدتها حتى حفظها وأمرلى بثلاثين ألف درهم[٢] .

---

(٢) الأغانى ١٤/٦ .

ويقول صاحب الأمـالى :

كان عمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر يتنازعان الشعر فيقـال ان عمر أشعر فى الرائية والعينية .

وقـال بعض النقاد ليس من شعراء الحجـاز من يتقـدم جميلا وعمر والناس لهما تبـع[٣] .

وهكذا نرى أن الشاعرين يسيران فى مضمار واحد من حيث القوة الشعرية وان بدا لبعض النقاد القدامى تفضيل احدهما على الآخر فى بعض القصائد وأما المحدثون فان الدكتور طه حسين يقول : ان عمر كان زعيم الغزل الحضرى كما كان جميل زعيم الغزل البدوى ثم يعقب على ذلك بقولـه :

ومهما تكن مكانة جميل من شعراء البادية والحـاضرة فليس من شك فى أن عمر بن أبى ربيعة كان مقدما عليه عند أهـل عصره ويجب أن يظـل مقدمـا عليـه من الوجهـة الفنيـة لانا لا نعـرف شـاعرا عربيا أمويا افتن فى الغزل افتنان عمر .

ويرى العقاد أن عمر كان أشعر من جميل وأورد بعض القصص التى نقلت عن كل منهما فى ذلك محاولا الاستدلال بها ومن ذلك ما روى أن جميلا أنشد فى محضر عمر بن أبى ربيعة :

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى
بثينـة أو أبـدت لنا جـانب البخل

يقـولون مهـلا يا جمـيل واننى
لا قسم ما بى عن بثينـة من مهـل

---

(٣) الشعر والشعراء ط ١ سنة ١٣٢٢هـ ص ١٠٠ ، ١٠١ .

لقد انكحوا جهــلا نبيهـا ظعينــة
لطيفــة طى الكشح ذات شوى خــدل

فانشد عمر :

جــرى ناصح بالــود بينى وبينهــا
فقربنى يــوم الخضــا ب الى قتلى

الى أن أتى على آخرها فقال جميل يا أبا الخطاب لا أقــول والله مثل هذا طــوال الليالى وما خــاطب النســاء مخاطبتك أحد وقــام مشمرا(٤) .

ويذهب د. زكى مبارك الى أن شعر جميــل أجزل وأفحــل من شعر عمر اذ يقول على أن من الحق أن نكرر ما أشرنا اليه من أن عمر أقل صدقا فى الصبابة من جميل فله قصائد ومقطوعــات الى جــانب لاميته تجعله فى الطراز الأول بين أصحاب العواطف والقلوب(٥) .

ويرى د. الرمادى أن الفرق بين الشاعرين واضح جلى فهذا رجل من البادية وذلك رجل من الحاضرة ومن هنا اختلفا فى مزاجهما وتباينا فى اتجاههما واعتنق هذا مذهب الوحدانية فى الحب وجرى ذاك وراء هذه وتلك(٦) .

ولا شك أن جانب الفضيلة أقوى واليق أن يفضل عــلى جــانب اللهو العابث فجميل شاعر يتمسك بالقيم والفضائل الشريفة الغالبــة عليــه .

---

(٤) عمر بن بى ربيعة ص ١٤٠ ، ١٤١ .
(٥) حب ابن أبى ربيعة ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
(٦) جميل بن معمر ص ١٦١ .

الغزل في عصر بنى العباس

اتخذ العباسيون العراق مكانا لخلافتهم فأوت اليه الحضارة وغرب نجم الشام التى كانت مقر خلافة الأمويين وقد اهتم الخلفاء العباسيون بعد السفاح باقتصاد الدولة الاسلامية وبناء حضارتها ويذكر أن المنصور خلف أربعة عشر مليون دينارا وستمائة مليون درهما[1] .

وفى عهد المهدى كثر المال وتحسن الاقتصاد ويقال انه اجتمع للمهدى حب الفنون الجميلة والميل الى الكرم وقد اتفق صاحب الأغانى والطبرى على أنه لم يكن يشرب النبيذ وقد بدأت بعض مظاهر اللهو فى عصره اذ بلى الناس فى عهده ببشار صاحب الغزل الماجن الى درجة أن يزيد بن منصور خال المهدى وجماعة طلبوا منه أن ينهى بشارا عن ذلك فنهاه عن الغزل يقول بشار :

قد عشت بين الريحان والراح والمزهر فى ظل مجلس حسن
وقد ملأت البلاد ما بين فعفور[2] الى القيروان فاليمن
شعرا تصلى له العواتق والثيب صلاة الغواة للوثن
ثم نهانى المهدي فانصرفت
نفسى صنيع الموفق اللقن
فالحمد لله لا شريك له
ليس بباق شىء على الزمن

---

(١) المسعودى فى مروج الذهب ١٩٦/٢ .

(٢) ملك الصين .

لكن بشارا لم ينته بل ظل سادرا فى غيه •

ثم انتقل الأمر الى الرشيد فزادت مباهج الحضارة وكثر الدخل الى درجة كبيرة ويقول ابن خلدون ان دخل المملكة فى عهد الرشيد كان فى كل سنة ٧٠١٥ قنطارا[٣] يحسب عند ابن خلدون بعشرة آلاف دينار وهى ميزانية ضخمة بمقياس هذا العصر •

ويذكر ابن خلدون أن الرشيد لم يكن يعاقر الخمر وكان يحافظ على الصلوات ويغزو عاما ويحج عاما ومع ذلك لم يكن بمنأى عن الترف أو عيش النعيم وقد عرض ابن خلدون فصولا طويلة فى تاريخه تناول فيها وصف الحضارة والنعيم والترف فى أيام الرشيد والمأمون وتفننهم فى المطعم والملبس والمشرب[٤] •

ولما جاء عهد الأمين كثر اللهو وان كان محققو المؤرخين يذكرون أن كثيرا من الأخبار وضعت فى عهد المأمون لتشويه سمعة الأمين •

وقد بدأ دخول الفرس الى ميدان السياسة حين نشب الشجار بين الأمين والمأمون وزاد نفوذهم ونفوذ الأتراك فى عهد المعتصم ثم عند من تلا المعتصم من الخلفاء الى حد التسلط على الحكم بحيث أصبح الأمر فى أيديهم يولون الخلفاء ويخلعونهم كما يشاءون ونشأت نزعة الشعوبية بالصراع بين العرب والأجانب •

وقد امتدت الدولة العباسية منذ قيامها حتى سنة ٦٥٦ وظلت قوية طوال العصر العباسى الأول الذى ينتهى سنة ٣٣٤ •

وقدمنى العصر العباسى الثانى بضعف الدولة فانقسمت الى امارات صغيرة تخضع خضوعا مباشرا لحكامها وتنضوى تحت اسم

---

(٣) المقدمة ص ١٥١ .
(٤) تاريخ ابن خلدون ١/١٤٨ .

الدولة العباسية شكلا ومنذ القرن الرابع الهجرى نجد عدة دويلات تأخذ طابع الاستقلال ففي حوالى عام ٣٣٤هـ — ٩٣٥م سيطر بنو بويه على فارس والرى واصبهان وبلاد الجيل واستقل نصر بن أحمد السامانى بخراسان وقامت الدولة الحمدانية فى حلب والموصل ومحمد بن طغج الأخشيد على مصر والشام وظهرت دولة الفاطميين فى افريقيا وسيطر عبد الرحمن الناصر الأموى على الأندلس[٥] .

ولم يعد للخليفة العباسي نفوذ يتعدي بغداد وضواحيها وكان أصحاب هذه الولايات يعتدى بعضهم على بعض ويحاولون الاستيلاء على بغداد كما فعل معز الدولة ابن بويه الذى استولي عليها سنة ٣٣٤ وامتد ملكه فى فارس والعراق وهان أمر الخلفاء حتى أصبحوا لا ارادة لهم ثم خلف الفاطميين الأيوبيون فى مصر والشام ثم سقطت بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦ ونقلت الخلافة العباسية الى مصر فقدم اليها أبو القاسم محمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله العباسى سنة ٦٥٩ ولقب بالمستنصر وقامت دولة المماليك وبسطت نفوذها على الشام والحجاز واليمن ومصر ثم انتزعها العثمانيون منهم سنة ٩٢٣هـ — ١٥١٧م .

وفى مجال الأدب ظهر تأثير الثقافة الفارسية فألوان اللهو التى كانت عند الفرس نقل أثرها الى المجتمع العربي وظهر هذا الأثر واضحا عند الشعراء الذين كانوا يتحدثون عن مجالس اللهو والترف ولئن كان بعض الترف واللهو عند العرب قبل العصر العباسى فقد زاد وانتشر فى هذا العصر .

ولئن كان الرق والغناء يلقيان عدم استجابة فى المجتمع الاسلامى الأول فقد أدت الارستقراطية الحجازية فى العصر الأموى الى العكوف

---

(٥) الكامل لابن الاثير وفيه حديث تفصيلى عن استقلال هذه الامارات .

علـى اللهو وظهور القيان والمغنين فيه بشـكل واضح ومن أشهر قيان العصر الأموى جميلة مولاة الأنصار وهى أول من غنى بالمدينة وسلامة القس وحبابة فاتنة يزيد بن معاوية[٦] .

وكان شعراء العصر الأمـوى كعمرو بن أبى عتيق وابن قيس الرقيات يتصلون بهن ولهم أشعار فى سلامة القس ولكن لم يبد لهن أثر واضح لأن أغلب الشعر كان فى امرأة بدوية أو امرأة حضرية .

لكن فى العصر العباسى زاد أمر القيان ولم يقتصر التسرى على السبايا بل امتد الى من تباع منهن فى أسواق النخاسـين من أنواع الجـوارى التى كانت تنتسـب الى الروم وارمنيـا وتركيا والهنـد والحبشـة[٧] .

وكان بعض الشعراء يشترون الجـوارى ويروبهن الشعر وظهر لذلك بعض الجوارى الشاعرات أو الأديبات وكانت تجـرى مطارحات ومساجلات شعرية بين الشعراء وبعض هؤلاء القيان وان وصل ذلك الى حد الفحش والمجون يقول الأصبهانى حدثنى الحسن بن دعبـل قـال : سمعت أبى يقول بينما أنا جالس بباب الكرخ اذ مرت بى جارية لم أر أحسن منها وجها ولا قدا تتثنى فى مشيتها وتنظر فى أعطافها فقلت متعرضا لها :

دمـوع عينى بهـا انبسـاط   ونـوم عينى بـه انقبـاض

فأجابتنى غير متوقفة فقالت :

ان كنـت تبغـى الـود منـا   فـالود فى ديننـا قـراض

---

(٦) الأغانى ح ص ٢٨٣٢ ط الشعب .

(٧) المقارنة بـين الشـعر الامـوى والعبـاسى فى العصر الأول د / عزيز فهمى ص ٢٥٤ .

قــال : فما دخل اذنى قط كلام أحلى من كلامها ولا رأيت أنضر وجها منها فعدلت بها عن ذلك الوجه وقلت :

اتــرى الزمــان يسرنــا بتــلاق ويضــم مشــتاقا الى مشــتاق

فأجابتنى بسرعــة :

مــا للزمــان وللتحــكم بيننــا
أنت الزمــــان فسرنــا بتــلاق

قال فمضيت أمامها الى دارى •

وهنا نرى حيــاة الشعر قد تحولت تبعا لهــؤلاء الذين تغنيهم القيان فيستمعون اليها •

ولذلك ظهر اللون المــاجن من الغــزل الذى يعــرض أحاديث العشق والصبابة ويغرق فى اللذة والمجون بهذا اللون الذى لا يعرف للمرأة كرامــة ولا للرجــل مروءة انما يعــرف الهــوان والابتذال البغيض[٨] •

ومن أمثلته قول بشار :

لا خير فى العيش ان دمنا كذا أبدا
لا نلتقى وســبيل الملتقى نهج
قــالوا حــرام تلاقينــا فقلت لهم
ما فى التلاقى ولا فى قبــلة حرج[٩]

---

(٨) العصر العباسى الثانى لشوقى ضيف ص ٢٢٢ •
(٩) الأغــانى ٢٠٠/٣ •

ويفيض كتاب الأغانى بأخبار هؤلاء الشعراء ومن يعشقونهن فهناك باب خاص ببشار بن برد وصاحبته عبدة ومما قال فيها مما يحتفظ فيه بشيء من كرامة المرأة وكرامته[١٠] .

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم
واذا قلت لها جودى لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
نفسى يا عبد عنى واعلمى أننى يا عبد من لحم ودم

وهناك باب لأبى نواس مع محبوبته جنان جارية آل عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفى وقد كلف بها كلفا شديدا الى حد أنه قيل له يوما ان جنان قد عزمت على الحج فقال أما والله لا يفوتنى المسير معها والحج عامى هذا ان أقامت على عزيمتها وقد أقامت جنان على عزيمتها ولم يفت أبا نواس المسير معها وفى ذلك يقول :

ألم تر أننى أفنيت عمرى بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سببا اليها يقربنى واعيتنى الأمور
حججت وقلت قد حجت جنان فيجمعنى وإياها المسير

ومن شعر بشار فى هذا الجانب الماجن ما يدعو فيه الى الفجور مثل قوله :

لا يؤيسنك من مخبأة قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمحا

ولم يقتصر هذا الغزل الماجن على بشار أو أبى نواس بل شاع على ألسنة المترفين من الخلفاء والوزراء والولاة والكتاب والرجال

---

(١٠) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٥٤ .

والنساء الذين كانوا يحضرون مجالس اللهو والغناء ويتأثرون بحياة الترف وقد قال ابن الرومي يصف مجتمعه الذى كان غيرراض عنه :

أتراني دون الأولى بلغوا الآ　مال من شرطة ومن كتاب
وتجار مثل البهائم فازوا　بالمنى فى النفوس والأحباب
خير ما فيهم ولا خير فيهم　انهم غير آشمى المغتاب
ويظلون فى المناعم واللذا　ت بين الكواعب الاتراب
لهم المسمعات ما يطرب انسا　مع والطائفات بالأكواب
من جوار كأنهن جوار　يتسلسلن من مياه عذاب
لابسات من الشفوف لبوسا　كالهواء الرقيق أو كالسراب
ومن الجوهر المضيء ستاه　شعلا يلتهبن أى التهاب
أصبحوا ذاهلين عن شجن النا　س وان كان حبلهم ذا اضطراب
عندهم كل ما اشتهوه من الآ　لات والأشربات والأثواب
والطروقات والمراكب والولدا　ن مثل الشوادن الأسراب[١١]

وقد تناول هؤلاء الشعراء حديث الغزل فى صوره من الصريح والعفيف فلئن كان الغزل العفيف قد انتشر بصورة واسعة أيام العصر الأموي فى بادية الحجاز فقد بقي هذا اللون العفيف وامتد الى العصر العباسى في هذا اللون الذى يتسم بالحياء وتظهر فيه العفة والطهر فكنا تجد التيارين متوازيين فى العباسى ويتناولهما الشعراء على اختلاف طبقاتهم •

(١١) نظرات فى الأدب — العصر العباسى الأول د / عبد الرحمن عثمان ص ٢٦ / ٢٧ •

وهذا ابن المعتز الخليفة له مقطعات فى الغـزل كان المغنون يوقعونها على آلات الطرب كقوله :

رأيتـــك فى المنـام أقـل بخـلا
وأطـوع منـك فى غـير المنـام

ولـو أن النعـاس يبـاع بيعـا
لا غليت النعـاس علـى الأنـام(١٢)

ومن الوزراء الشعراء الفتح بن خاقان وزير المتوكل وله شعر غـزلى .

وكذلك كبار رجال الدولة من الولاة ورؤساء الدواوين وكان منهم من يحسن الغزل العفيف مثل ابراهيم بن المـدبر الذى تولى البصرة ورأس بعض الدواوين وقد ساق صاحب الأغانى اخبارا كثيرة لـه مع عريب التى كان يهواها ويقول فيها :

زعمـوا انى أحب عريبـا
صدقـوا والله حبـا عجيبـا

حـل من قلبى هواهـا محـلا
لم تـدع فيـه لخلق نصـيبا

هى شمس والنسـاء نجـوم
فـاذا لاحت أفلن غيوبـا(١٣)

وقد ظهر تيار الغزل العفيف واضحا عند بعض الشعراء كالعباس ابن الأحنف ومن شعره فى الغزل :

---

(١٢) مروج الذهب ٤/٤٨ .

(١٣) الأغانى ١٩/١٢٤ .

الحب أول ما يكون لجاجة تأتى الفتى وتسوقه الأقدار
حتى اذا سلك الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار
نزف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك دمعها مدرار
من ذا يعيرك عينه تبكى بها أرأيت عينا للبكاء تعار

وقد أحب جارية تسمى فوز وفتن بها حتى كأنها ليلى بالنسبة للمجنون ومن قوله فيها :

ابكى الذين أذاقونى مودتهم حتى اذا ايقظونى للهوى رقدوا
جاروا على ولم يوفوا بعدهم قد كنت أحسبهم يوفون ان عهدوا
لاخرجن من الدنيا وحبكم بين الجوانح لم يشعر به أحد

وهناك شعراء آخرون مثله كعلى بن أديم الكوفى وقد أحب جارية اسمها منهلة وله حديث طويل معها فى كتاب مفرد مشهور صنعه أهل الكوفة لهما وفيها يقول :

يا نصب عينى لا أرى حيث التفت سواك شيئا
انى لميت ان صددت وان وصلت رجعت حيا(١٤)

ولم تكن حرارة الشعر العفيف فى هذا العصر موازية لحرارته فى العصر الأموى أما شعر الغزل والمجون فقد كثر وذاع وكانت الزندقة تسرى فى دماء هذا اللدن من الشعراء غير آبهين بالمثل أو القيم الاسلامية والخلقية وكانوا يكبون على شرب الخمر ولا يتورعون عن مقارفة الآثام وكانت هناك طائفة من هؤلاء الشعراء الذين الفوا المجون

---

(١٤) الأغانى ١٥/٢٦٧ .

الى جانب بشار وأبى نواس مثل مطيع بن إياس وحماد عجرد ويحيى ابن زياد واضرابهم فهذا مطيع بن اياس يقول :

اخلع عذارك في السهوى واشرب معتقة الدنان
وصل القبيح مجاهرا فالعيش فى وصل القيان
لا يلهينك غير ما تهوى فان العمر فان

وفى هذا اللون من الغزل الماجن شاع الغزل بالمذكر الذى نشأ حين خالط العرب الفرس ونفذت الحضارة الفارسية الى حياة العرب فاصبح عاديا أن يتغزلوا بالمذكر فالغلمان من الأتراك والفرس يغدون ويروحون فى منازلهم وفى الأسواق والأديرة منتشرة قرب الحدائق والمزارع وفيها رهبان أحداث والوازع الدينى يضعف سلطانه على النفوس شيئا فشيئا ولذا رأينا الأديرة تستثير خيال الشعراء يقول أبو نواس فى راهب الثغ :

ومورد الخدين من رهبانهم هو بينهم كالظبى بين ليوث
جادلته فى قبلة فأجابنى لا والمشيح وحرمه الناقوث

وقد حاول أبو العتاهية أن ينهى أبا نواس عن هذا الفحش وطلب منه أن يتوب فقال له :

اتـرانى يا عتاهى تاركا تلك الملاهى
اتـرانى مفسدا بالنسـ ـك بين المرد جاهى[١٥]

ويقول حماد عجرد فى غلام اسمه بشر :

اخى ان دائى ليس عندى دواؤه ولكن دوائى عند قلب أبى بشر
دوائى ودائى عند من لو رأيته يقلب عينيه لاقصرت عن زجرى

---

(١٥) نظرات فى الأدب ص ٨٦/٨٧ .

فـــاقسم لو أصبحت في لوعة الهوى
لاقصرت عن لـــومي وأطنبت عن عـــيذري

ولـــكن بـــلائي منك أنك ناصح
وأنك لا تـــدري بأنك لا تـــدري

وهذا النوع لا يختلف فى ألفاظه ومعانيـــه عن الغـــزل بالمرأة فالكلف بالمحبوب وطيفه والتنعم بـــه والتحدث والمناجاة معـــه أمـــر محبب للشاعر •

وفى شعر الغزل بامرأة نقرأ وصفا للجمال جمال البدن من وجه وخد وقوام وعيون وجمـــال الحديث وجمـــال الذوق وجمال الدلال وفى الغزل بالمذكر نقرأ شيئا قريبا من هذا بطريقة يتراءى للناظر فيها الابداع الشعرى يقول اسماعيل بن اسحاق الأزدى فى غـــلام اسمه ابن بـــرى :

الحـــاظه ترجمـــان منطقـــه ووجهـــه نزهـــة لعاشـــقه
قـــد كثرت قـــالة العباد فيـــه فما تســـمع الا سبحـــان خالقـــه[١٦]

وسنختار نماذج من شعراء الدويـــلات التي ظهرت بعد ضعف الدولة العباسية وانقسامها لهذا الفن الشعرى وهو الغزل •

فمن شعراء الدولة الحمدانية أبو فراس الحمدانى ابن عم سيف الدولة الذى يصور أشواقه وعواطفه واللقاء المرتقب لمن يحب تصويرا فيه جدة وبراعة ومن ذلك قصيدته المشهورة :

أراك عصى الدمـــع شيمتك الصـــبر
أمـــا للهـــوى نهى عليـــك ولا أمـــر

---

(١٦) معجم الادباء ح ١٣٧/٦ •

والشاعر يعيش فى بيئة الأمـراء مما كان يسمح لـه بكبرياء الشاعرية :

تسـائلنى مـن أنت وهى عليمـة
وهـل بفتى مثلى عـلى حالة نـكر

والقصيدة تصدح بها أم كلثوم على مسامعنا وفيها صور فنيـة فالهوى ينهى ويأمر ولقـاؤه بها مستحيل فبينه وبـين اللقـاء الموت ومحبوبته ليست له وحده ويدور بينه وبينها الحوار قائلا لها :

وقلت كمـا شـاء وشـاء لها الهوى
فتيـلك قـالت ايهم فهـم كثـر

والهوى هنا يوجه المحبوبة كيف يشاء وهى صور من الاستعارات طريفـة .

ومن شعراء هذا العصر أيضا المتنبى وفى ديوانه الوان من غزله سواء كان ذلك فى صباه أو فى عنفوان شاعريته ويبدأ الديـوان بما قاله فى صباه بعنوان : كان تسليمه وداعا

يقول فيها :

بـأبى من وددتـه فافترقنـا وقضى اللـه بعـد ذاك اجتمـاعا
فافترقنـا حـولا فلمـا التقيـا كان تسـليمه عـلى وداعـا[١٧]

وتحت عنوان كفى بجسمي نحولا يقول :

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى وفرق الهجر بـين الجفن والوسن

(١٧) شرح ديوان المتنبى لليازجى ص ٩٥ .

ونعثر فى الديوان علـى قصائد يبدؤها بالغـزل ثم ينتقل الى غرضه الأصلى كقوله فى مطلع قصيدته التى يمـدح بها المغيث بن على بن بشر العجلى :

دمع جرى فقضى فى الربـع ما وجبا
لأهلـه وشـفى أنى ولا كربا

عجنا فاذهب مـا ابقى الفراق لنـا
من العقـول ومـا رد والذى ذهبـا

سقيتـه عبـرات ظنهـا مطـرا
سوائلا من جفـون ظنهـا سـحبا

دار الملـم لها طيف تهـددنى
ليـلا فمـا صدقت عينى ولا كذبـا

أنايتـه فدنـا أدنيتـه فنـأى
جمشـته فنبـا قبلتـه فـأبى

فبكى الديار ثم تحدث عن الطيف وواصل حديثه عن المحبوبة قائلا :

هـام الفؤاد باعرابيـة سـكنت بيتا من القلب لم تمدد لـه طنبا
مظلومـة القد فى تشبيهه غصنا مظلومـة الريق فى تشبيهه ضربا
بيضاء تطمـع فيمـا تحت حلتها وعـز ذلك مطـلوبا اذا طلبـا
كأنها الشمس يعيى كف قابضـه شعاعها ويراه الطـرف مقتربـا
مرت بنا بـين تربيها فقلت لهـا من أين جانس هذا الشادن العربا

ثم انتقل الى غرضـــه انتقالا بارعا حين قال :

فاستضحكت ثم قـــات كالمغيث يرى
ليث الشرى وهو من عجل اذا انتسبا(١٨)

ويبدو افتنان الشاعر فى هذا المطلع بما حشد من معان وصـــور فهو يتكلم عن الدمع الذى تساقط فى ربـــع المحبـــوب وان ذلك أذهب عقله وان كان قد بذل الدمع الثخين ليشفى نفسه وليقضى حق الأحبة عليـــه •

وما أبدع تصـــوير العبرة وهى تسقى الربع لغـــزارتها وتشبيهها بالمطر الذى سال من الجفـــون فيحسبها الرائى سحبا وهو تحويـــل للصور المعتادة الى صور غريبة فى ظن العبرة مطرا وفى ظن الجفـــون سحبا فادخل من التجوير والتفنن ما جعل الصورة بديعة وهذا شـــأن الشعراء الكبار •

وصور الطيف وهو يدخل عليه مهددا بالهجر وقد ايقظه الطيف فلم ينم بعد ذلك ثم يأتى بالمقابلات فى قوله : (انأيته فدنا أدنيته فنأى) وهى من الطباق المحبب مع موسيقى التقطيـــع الواضحة فى البيت كله وفى البيت الذى يليه جعل القلب موطنا للســـكنى اقامت فيه المحبوبة خيمة لم تضع لها حبالا تمسكها ومع انه شاع تشبيه قـــد المرأة بالغصن وتشبيه ريقها بالضرب الذى هو العسل فقد حول الصورة الى التجديد حين قال ان تشبيه قد محبوبته بالغصن ظلم وتشبيه ريقها بالضرب ظلم أيضا وكذلك حول تشبيه المرأة بالشمس وهو تشبيه مبتذل الى صورة جديدة حين صور المحبوبة البيضاء القريبة من التناول الذى يتوهمه الطالب لها وهى فى الحقيقة مرهوبـــة الجـــانب لا يستطيع الوصول اليها أحد وهى فى ذلك كالشمس شعاعها قـــريب ينزل الى

---

(١٨) شرح ديوان ابى الطيب لليازجى ج ١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ •

الأرض لكن اذا حاول طامع أن يمسك بالشعاع فانه يعجز عن امساكه والقبض عليه وهذه الصورة مألوفـة فى العصر العبـاسى الذى كان الشاعر فيه يحاول الافتنان فى الصورة العادية ليحولها الى صـورة دقيقـة .

ولكن حـرارة العاطفة لا تبدو واضحـة فى مثل هذا النسيب الذى تفتتح به القصائد تقليدا للسابقين من شعراء العرب فى العصور المـاضية .

وقد جاء خطاب المتنبى للفتاة على هيئة ما كان يجرى فى الغزل الأموى مثل ما عهدناه فى شعر عمر بن أبى ربيعة .

وهو فى بعض قصائده يبدأ بالغزل تقليدا كما ذكرنا وقد أشار المتنبى الى ذلك فى مطلع احدى قصائده حين قال :

اذا كان مـدح فالنسيب المقـدم   أكل فصـيح قـال شـعرا متيم
لحب ابن عبـد الله أولى فـانه   به يبدأ الذكر الجميل ويختم[19]

ولعل هذا دعوة جديدة من الشاعر لنبذ هذه المحـاكاة فى بـدء القصيدة بالنسيب وغزله واضح فى أنه يفضل الاعرابيات على قريناتها من المتحضرات فهو يفضل العناصر البدوية لتكتسب ضربا من الجـلال والروعة ، ولذا فانه أكثر من حشد العناصر البدوية وذكر الحجـاز وما به من أماكن مقدسة فى بعض شعره[20] كما حاول ذلك شعراء آخرون دعوا الى هجر النسيب فى مطلع القصائد متجهين الى البدء بالخمر كقول أحدهم :

---

(١٩) شرح ديوان المتنبى ٢/٧٥ .

(٢٠) الفن ومذاهبه ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

لا تبك ليلى ولا تطـرب الى هنــد
واشرب على الورد من حمــراء كالورد

ومن شعراء الدولة البويهيــة الشريف الرضى[٢١] وتلميذه مهيار الديلمى ، وللشريف الرضى غزل بالاعرابيات قلد به المتنبى وســار على دربه فى ذكر أماكن البادية كذكر العيس والبيد والأماكن والصور فى نجد والحجاز وقد كان يصور حنينه الى أماكن الحجاز ونجد ومن ذلك قوله :

خذى نفسى يا ريح من جانب الحمى
ولاقى بــه ليلا نسيم ربا نجد

فــان بذاك الجــو حيــا عهدته
وبالرغم منى أن يطــول بــه عهدى

ومن ذكره للأماكن قوله :

حبيبــا دون الــكثيب مرتــع الظبى الــربيب

وهذا الغزل منتشر فى ديوانه متسم بالعفة والطهر وللشـــاعر مقطوعات شعرية غزلية فيها ابداع من مثل قوله :

يا ظبيــة البان ترعى فى خمائله   ليهنك اليــوم أن القلب مرعـــاك
المــاء عنــدك مبــذول لشــاربه   وليس يرويك الا مدمعى البــاكى
أنت النعيم لقلبى والعــذاب لــه   فما أمــرك فى قــلبى وأحــلاك

ويأتى تلميذه مهيار الذى كان فارسى الأصل مجوسيا فاسلم على يديه وتخرج فى الشعر كذلك[٢٣] .

(٢١) ولد ببغداد سنة ٣٥٩ وتوفى سنة ٤٠٦ .
(٢٢) ولد فى بغداد سنة ٣٦٠ وتوفى سنة ٤٢٨ .
(٢٣) وفيات الأعيان ١٤٩/٢ .

وكان شديد التقرب للبويهيين وسار على نهج أستاذه فى تقليد القديم من الوقوف على الأطلال والاهتمام بالأماكن والبقاع البدوية والنجدية ولأنه فارسى الأصل كانت تقع كلمات معربة فى شعره وتفلت منه الكلمة الأصيلة أحيانا وفى شعره الغزلى لين يمتلىء بالحنين والشعور والرقة واقرأ في ذلك قوله :

وبجرعاء الحمى قلبى فعج بالحمى فاقرأ على قلبى السلاما
وترجل فتحدث عجبا أن قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضا آه على طيب عيش بالغضا لو كان داما
نصل العام وما ننسيكم وقصارى الوجد أن نسلخ عاما
حملوا ريح الصبا نشركم قبل أن تحمل شيما وثماما

وقد كثرت العناصر البدوية فى شعره من ذكر صاحباته وأماكن النزول وما فيهامن أنواع النباتات والأشجار والأودية والرياح[٢٤] .

ونظراً لرقة هذا الغزل عند الشريف وتلميذه مهيار كان الصوفية ينشدون غزلياتهما فى حلقات ذكرهم ومما دار على الألسنة من شعر مهيار قوله :

اذكرونا ذكرنا عهدكم رب ذكرى قربت من نزحا
وارحموا صبا اذا غني بكم شرب الدمع وعاف القدحا
قد عرفت الهم من بعدكم فكأني ما عرفت الفرحا[٢٥]

---

(٢٤) الفن ومذاهبه ص ٣٧٠ .
(٢٥) الشعر وطوابعه الشعبية ص ١٤٦ ، ١٤٨ .

وكان هناك شعراء يسيرون على هذا الدرب من الشعر الغزلى العفيف من أمثال الحاجرى والتلعفرى من شعراء الموصل فى القرن السابع الهجرى .

وقد كان للدولة الفاطمية التى اتخذت من القاهرة عاصمة لها دور بارز اثبت للشعر المصرى وجودا على المسرح الأدبى بعد ان لم يكن ذلك من قبل ولأن هذه الدولة كانت تتمتع بقدر من السلطان والثروة فقد عم الترف والنعيم بمصر آنذاك(٢٦) .

وهذا أنشأ تقدما فى الأدب ولا سيما الشعر الى درجة تجعل الشعراء بها يتفوقون على غيرهم ويلحقون بالمتقدمين من شعراء المشرق وقد كان من دوافع تلك النهضة ما كان يبذل بسخاء من قبل الفاطميين للشعراء على سبيل المكافأة لاجادتهم واحسانهم ولذا كثر الشعراء فى هذه الحقبة واذا كانت لهم أغراض كثيرة برعوا فيها فان منهم من برز أيضا في شعر الزهد وفي شعر الغزل وقد كان من شعراء الزهد ابن الكيزانى الذى كان له غزل صوفى على النحو العذرى كقوله :

ملك الشوق مهجتى حبذا من تملكا
قد رمانى بحبه ونهانى عن البكا
انما راحة المحب اذا أن أوشكا
ما أرى السلو عنه وان جار مسلكا

ونتيجة للترف الذى شاع فى العصر الفاطمى شاعت موجة من اللهو لما كانت تتمتع به الدولة من ثراء ودعة فوجد لون

(٢٦) انظر وفيات الأعيان ج ٢٢٢/١ .

من الشعر الماجن فى الخمر والغزل بالمذكر ومن ذلك قول ابن مكنسة[٢٧] فى غلام :

قلت اذ عقرب الدلا ل على خده الشعر
هذه آية بها ظهر الحسن واشتهر
ما رؤى قط قبل ذا عقرب حلت القمر[٢٨]

ومن شعراء هذا العصر من له غزل يمتاز بالرقة فهذا ظافر الحداد يقول :

يا ساكنى مصر أما من رحمة فيكم لمن ذهب الغرام بلبه
أمن المروءة أن يزور بلادكم مثلى ويرجع معدما من قلبه[٢٩]

ويقول أبو الحسن التنيسى ويلقب برضى الدولة :

راح من خمر الصبا مغتبقا ثملا أحسن شىء خلقا
رشأ قد أقسمت ألحاظه ليريقن دما من عشقا
من عذيرى من غزال كلما سئل الرحمة ابدى حنقا
كم اناديه وذلى شافعى وفؤادى يتلظى حرقا

وهذا ابن الأخفش يستعمل الغزل فى مطلع قصيدته فيقول :

سقى دمن السفحين للقطر صيب
وحيا ربى حى ربها فيه ربرب

---

(٢٧) شاعر عاش فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس انظر فوات الوفيات ١/٢٦ .

(٢٨) الخريدة ٢٥/٢٠٧ .

(٢٩) الخريدة ٢/١٢ .

ومالى عن شرع الصـــبابة مشرع

ومـــالى الا مـــذهب الحب مـذهب

وفى الحى رود فى عـــذاب ورودهـــا

عذاب يذيب العاشـــقين ويعذب(٣٠)

وابن الأخفش يتغزل بالمذكر فيقول فى عذار غلام :

وكأن العذار في حمـــرة الخـــــد عـــلى حسن خدك المنعوت

صولجان من الزمـــرد معطـــوف عـــلى اكرة من اليـــاقوت

وهذا أيضا ابن قادوس (محمود بن اسماعيل) المتوفى سنة ٥٥١ أحد شعراء العصر يتغزل قائلا :

من عـــاذرى من عـــاذل يـــلوم فـــى حب رشـــا

اذا نـــــكرت حبـــــه قـــال كفى بالدمـع شـــا

ويقول فى جاريـــة سوداء :

وعـــاذل محتفـــل مجتهـــد فى عـــذلى

يلـــومنى فى ظبيـــة مخلوقـــة مـــن كحـل

ان الســـواد علـــة من نـــور هـــذى المقـل

والحجـــر الأســـود لم يخـلق لغـــير القبل

---

(٣٠) رود : نســـاء جميلات وانظر الخريدة ٢٣٨/١ .

وقال فى الهجران :

فـان عـبدت الى وصـلك فالألطـاف مرجـوة

وان لج بـك الهجـر فـلا حـول ولا قـوة[٣١]

ويبدو ان الشعراء الذين بلغوا مبلغا كبيرا قـد أجادوا فى شعر الغزل بالمرأة أو بالمذكر وفى تقليد ومحـاكاة من سبقوهم كاستعمال الغزل فى مطلع القصائد .

ونرى استخدامهم للصور الشعرية المـألوفة عند المشارقة الى جانب ما كانوا يتأنقون به من المحسنات كالجناس والطباق والاقتباس ويمكن ان ننظر فى النصوص التى أوردناها .

فقـد استخدم التشبيه فى :

كأن العذار فى حمرة الخد صولجان من الزمرد فهى صورة من صور التشبيه وان اشتملت عـلى مشبه به مما غص بـه العصر من وسائل الترف وما تزخر به القصور من زمـرد وياقوت وقـد يأتى التشبيه بالأزهار أو بالظباء التى تنتشر فى البيئة العربية القديمـة ويحاكيها هؤلاء الشعراء وكثيرا ما شبه العربى المرأة بالظبية أو المهاة فاستعارها لها وهذا محمد بن هانىء يقول مسـتعملا تلك الصـور والتشبيهات :

كـأن ثغـور العامـويات كلمـا تبسمن نـور الاقحوان الذى رفا

كأن غصون الآس تحت اخضرارها قدود مها يحملن من سندس لحفا

---

(٣١) انظر الحيـاة الفكرية والأدبيـة بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية ص ١٧٨ وما بعدها .

ولو نظرنا فيما أوردناه عن ابن الأخفش أو ابن قادوس وجدنا صورا من المحسنات البديعية ففيما ذكره ابن الأخفش يستخدم الجناس بل يتكلفه تكلفا بين (ربى ، وربا) وبين (شرع الصبابة ، ومشرع) وبين (رود بمعنى فتيات جميلات وورود بمعنى الاتيان لشرب الماء) •

وبين (عذاب وعذاب) فكل هذا من الجناس الذى عمد اليه الشاعر محاولا أن يخلع الجمال على شعره لكنه جاء متكلفا كما ترى •

وفي قول ابن قادوس جناس أيضا بين آخر كل من البيتين فآخر البيت الأول هو رشا وآخر البيت الثانى شا مختصر من شاهد وكأنه يريد بذلك أن يلغز على القارىء لكنه واضح فى اتباعه طريقة الجناس •

ويشيع الاقتباس والتضمين فى هذا الشعر الذى رويناه :

فقد ضمن ابن الأخفش قول الكميت :

ومالى الا آل أحمد شيعة   وما لى الا مذهب الحق مذهب

أخذ الشطر الثانى فوضعه ابن الأخفش فى شعره قال :

(ومالى الا مذهب الحب مذهب) •

وبهذا نجد أن صورة الشعر عند الفاطميين صورة تستمد أصالتها من الشعر القديم وتبيح لنا أن نذكر أن العصر الفاطمى هيأ المجال لبروز الشعر المصرى وأخذه مكانته بين شعراء المشرق والأندلس •

ومن شعراء العصر الأيوبى ابن سناء الملك وابن النبيه والبهاء زهير ولهم غزل ينبىء عن رقة واحساس وسهولة طبع فى البيئة المصرية جعلت شعرهم يتغنى به فى مصر وغيرها من البلاد العربية •

ومن قول ابن سناء الملك[٣٢] في الغزل الذى يجرى فيه على طريقة الموشحات الأندلسية وهو بارع فى موشحاته :

البدر يحكيك لولا تجنيك بالضم اجنيك للصدر أدخيلك

ومن قول ابن النبيه :

افديه ان حفظ الهوى أو ضيعا ملك الفؤاد فما عسى أن أصنعا
من لم يذق ظلم الحبيب كريقه حلوا فقد جهل المحبة وادعى
يا أيها الوجه الجميل تدارك الصبر الجميل فقد عفا وتضعضعا

وفى هذا الشعر رقة وعذوبة وكذلك البهاء زهير[٣٣] الذى يفيض غزله رقة أيضا كقوله :

تعيش أنت وتبقى انا الذى مت حقا
حاشاك يا نور عينى تلقى الذى أنا القى
يا أنعم الناس قل لى الى متى فيك اشقى

ومعظم شعر البهاء فى الغزل وقد وصفه بعض الباحثين بالصدق فى غزله على حين يذكر الدكتور شوقي ضيف أنه متصنع فى غزله وهو يوشى شعره بافنان من البديع كالجناس والطباق والتورية استمع الى هذه القصيدة :

غيرى على السلوان قادر وسواى فى العشاق غادر
ومشبه بالغصن قلبى لا يزال عليه طائر
حلو الحديث وانها لحلاوة شقت مرائر
يا ليل طل يا شوق دم انى على الحالين صابر

(٣٢) يعد من كبار الشعراء فى مصر فى القرن السادس الهجرى : انظر معجم الأدباء ط مصر ٢٦٥/١٩ .
(٣٣) ولد بمكة ونشأ فى قوص وفيات الأعيان ١٩٥/١ .

ومعظم شعره لا تصنع فيه ويفيض رقة وعذوبة وقد يشتمل عــلى كلمات عامية مما يستخدمه المصريون ويجرى على لسانهم[٣٤] •

وهذا شعر سهل عــلى القارىء وتلك السهولة ظاهرة برزت عند هؤلاء وكانت بعد ذلك سمة للشعر المصرى الى جانب استعمال بعض الكلمات التى قد تجرى على لسان العامة •

وهذا اللون من الغزل ربما تأثر فيه أصحابه بالشعر الصــوفى الذى كان شائعا آنذاك فى أيام الحروب الصليبية والتتاريــة كشعر ابن الكيزانى وابن الفارض الملقب بسلطان العاشقين •

ومن شــعراء العصر المملوكى ابن نباتة جمــال الدين محمد بن محمد[٣٥] وله باع فى شعر الغزل المطبوع كما ان له باعا فى غــيره من الأغــراض •

ومن ذلك ما ذكره فى مطلع قصيدته التى يمدح بها الملك المؤيد ابن أيوب ويقول فيها :

الا من لمســلوب الفــؤاد رهينه   معنى بمحجــوب الوداد ضنينــه

أخــو شجن يرعى النجوم كأنما   تعلق أعــلى هديــــه بجبينــه

تجــلده شــك اذا لام لائم   ولكن فــرط الوجــد عقد يقينــه

ومن شعره الغزلى :

مــــولع بفخــــاخ   يمــدها وشــــباك

قالت لى العــين ماذا   يصــيد قلت كراكى

(٣٤) الفن ومذاهبه ص ٤٩٧ ـــ ٥٠٠ .

(٣٥) ولد بمصر فى أواخر القرن السابع وتوفى بها سنة ٧٦٨ انظر خزانة الأدب ص ٢٩١ .

وفيها تورية لطيفة فى (كراكي) ويجرى فى شعره الاقتباس والتضمين فمن اقتباسه من القرآن قوله :

سألت قلبى عن ذوى العشق وعن
ما أوتيته من فنون الحسن مى

فقال لى : انى وجدت امرأة
تملكهم وأوتيت من كل شيء

وفى احدى قصائده في ديوانه يأخذ شطرا من معلقه امرىء القيس ويأتى بشطرا آخر من عنده فيقول :

فطمت ولائى ثم اقبلت عاتبا
(افاطم مهلا بعض هذا التدلل)

وقد يلجأ الى المعارضات للشعراء كالمتنبى وابن النبيه وأضرابهم وهو كغيره من شعراء العصر يسير وراء المحاكاة للسابقين الى جانب اهتمامه بالبديع •

ولا شك أن الغزل فى هذا العصر كان يتفنن فيه الشعراء تفننا عجيبا ساعد على الابداع الشعرى ولا غرو فقد قوى الشعر فى هذا العصر[٣٦] واتصل بأصالته القديمة العريقة وقد يلجأ الشاعر المفتن

---

(٣٦) ومع نشاة الدويلات المتعددة في العصر العباسى الثانى ظلت اللغة العربية الرسمية في التعليم والسياسة والقضاء وايضا لغة الأدب مع ما كان لها من مكانة لانها لغة القرآن الكريم الذى يتعلمونه خلفا عن سلف وتستخدم الفصحى فى الوعظ والصلاة والعلوم الاسلامية وقد ظل الشعر الفصيح مستخدما بصور بارزة ويظهر ذلك على لسان شعراء معروفين فى هذه البلاد وفى تلك العصور باستثناء ما حدث حين استولى العثمانيون على المنطقة فقد كانت فترتهم فترة ركود الأدب .

هنا الى دقـائق لا ينفذ اليها الا كبار الشـعراء أمثـال ابن الرومى الذى يفتن فى وصف العناق قائلا :

أعـانقها والنفس بعد مشـوقة اليها وهل بعد العنـاق تدان
كأن فـؤادى ليس يشـفى غليله سوى أن يرى الروحين تمتزجان

وتأتى التشبيهات المستمدة من البيئة كقول أبى العباس الناشى :

كـأن الدمـوع عـلى خدهـا بقيـة طـل عـلى جلنـار

وتأتى الاستعارات البارعة كقول أحمد بن صالح :

أدميت باللحظـات وجنتهـا فاقتص ناظرها من القـلب[٣٧]

وهذا اللون من الغزل اصطبغ بالطابع الشعبى فجـاءت ألفاظه لينة وعباراته سهلة يتسع تأثيره فى الناس فيعجبون بـه ولأنه كان شعرا يتناول الجوارى المغنيات وهن لا يعرفن البداوه ولا الألفـاظ الغريبة فمن الطبيعى أن تأتى الألفاظ سهلة فى لغة تمس القلوب برفق كما يقول أبو العتاهية :

بسـطت كفى نحـوكم سـائلا مـاذا تردون عـلى السـائل
ان لـم تنيلوه فقـولوا لـه قولا جميـلا بـدل النائـل
أو كنتم العـام عـلى عسـرة ويـلى فمنـوه الى قـابل[٣٨]

ولاشك أن شعراء العصر العباسى كانوا مثقفين بالعربية ويأخذون اللغة عن الفصحاء ففيما نقل صاحب الأغانى عن بشار أنه قال :

(من أين يأتينى الخطأ ولدت ههنا[٣٩] ونشأت فى حجور ثمانين

---

(٣٧) العصر العباسى الثانى لشوقى ضيف ص ٢٢٤ .
(٣٨) الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ص ٨٢ ، ٨٣ .
(٣٩) فى البصرة .

شيخا من فصحاء بنى عقيل . وايفعت فأبديت[٤٠] الى أن أدركت فمن أين يأتينى الخطـأ ؟)[٤١] .

وأبو نواس أيضا عـاش فى البادية وما كان أحد أعلم باللغـة من أبى نواس كما يقول الجاحظ[٤٢] .

وهذا يدل على معرفة بالشعر القديم واللغة ولذا وجدنا هؤلاء واضرابهم يحاكون القديم من الشعر كالغزل الجاهلي وغزل العصر الأموى فيما أثر عن امرىء القيس وعمر بن أبى ربيعة وجميل بثينة واضرابهم مما حمل نوعى الغزل الاباحى والعفيف .

ومع هذه المحاكاة فانهم زادوا فى الاثم والمجون تبعا لمـا جد فى العصر العباسى من وسائل اللهو الواسعة وكانت لبشار حاستا السمع واللمس معوضتين له عن حاسة البصر كما يقول :

يا قـوم أذنى لبعض الحى عاشـقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وقد تأثر هؤلاء الشعراء بالثقافات التى كانت تموج بها الحياة العباسية من هندية وفارسية ويونانية ولذا رأينا شـاعرا كأبى نواس يتصل بالمتكلمين والمعتزلة فى عصره ويتبع فى شعره الغزلي كما يتبع فى غيره مذهب الكلام والجدل من مثل قوله :

توهمـه طـرفى فآلم خـده فكان مكان الوهم من نظرى أثـر
وصافحـه قلبى فآلم كفـه فمن صفح قلبى فى أنامله عقـر

(٤٠) دخلت الباديـة .

(٤١) الاغانى ٣ / ١٤٩ .

(٤٢) طبقات الشعراء لابن المعتز .

ومـــر بقـــلبى خـــاطر فجرحتــــه ولم أر خلقـــا قط يجرحــــه الفكر
يمـــر فمن لـــين وحســـن تعطف يقال بـــه سكر وليس به سكر(٤٣)

ويتسم شعر هؤلاء الشعراء فى مجـــال الغزل بالذوق والرقـــة والاحســـاس(٤٤) •

وتتضح نواحى الاجادة فى شعر الغزل العباسى فى الآتى :

١ — الألفاظ المفردة التى يسميها نقاد الشعر بالألفاظ الشعرية وهى تلك التى ينتقيها الشعراء متلائمة مع الطباع الشعرية •

٢ — الانسجام فى العبارات والجمل الذى يبدو فى اتحاد النغم فى التراكيب ويتمثل فى المقاطع والتفاعيل التى منها تتكون الأوزان والبحور وقد جاءت الأوزان خفيفة النغم لطيفة رقيقة حتى تصلح للغناء الذى شاع فى هذا العصر ومما قال أبو نواس :

حـــامل الهـــوى تعب يســـتخفه الطـــرب
ان بـــكى يحق لـــه ليس مـــا بـــه لعب

ويمتلىء كتاب الأغانى بالأصوات التى كانت تغنى وفيه ترجمات للمغنين النابهين •

٣ — القافيـــة ولها فى الشـــعر العربى بخاصـــة شـــأن لا يستهان به فى اكمال الموسيقى وقد برع شعراء هذا العصر فى ذلك •

---

(٤٣) أمالى المرتضى ط الحلبى ١٨٨/١ •

(٤٤) الفن ومذاهبه ص ١٤٦ •

٤ ــ جزالة الأساليب ورصانتها ورقتها .

٥ ــ معان تلذها الأسماع مناسبة للمقام .

٦ ــ والخيال هو خيال الشاعر العربى الذى يقوم على التمثيل والتشبيه والكناية والاستعارة وغيرها من وسائل البلاغة وقد نبه قدامة ابن جعفر على أن الأشعار انما تحسن وتجود متى اجتمعت لها سائر النعوت اللازم اجتماعها فى الشعر[٤٥] .

ويقرر الجاحظ أن أجود الشعر ما رأيته متلاحما فى الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ افراغا واحدا[٤٦] .

وقد جاءت الصور الأدبية فى العصر العباسى مستمدة من البيئة كما جاءت المعانى أيضا كذلك وقد كان بشار مع انه مكفوف البصر مجيدا فى التصوير ووصف الأشياء ويقول عنه الأصمعى انه ما نظر الى الدنيا قط وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض فى شعره فيأتى بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله[٤٧] ومن ذلك قوله عن مغنيه :

وصفراء مثل الخيزارنة لم تعش ببؤس ولم تركب مطية راع

تصلى لها آذاننا وعيوننا اذا ما التقينا والقلوب دواع

جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها لزوارها من مزهر ويراع

اذا قلدت أطرافها العود زلزلت قلوبا دعاها للوساوس داع

كأنهم فى جنة قد تلاحقت محاسنها من روضة ويفاع[٤٨]

---

(٤٥) نقد الشعر ص ٢٢ .

(٤٦) البيان والتبين ح ١ ص ٦٧ .

(٤٧) الأغانى ج ١٤٢/٣ .

(٤٨) امالى المرتضى ٢ /١٣٩ .

فقد جعلها كالخيزرانة فى ليونتها ونضارتها وجعلها ليست من الرعاة الذين تؤثر فيهم طبيعة الصحراء وحرارة الجو فتقضى على حسنها ونضارتها ثم جعل تلذذ الآذان والعيون بالرؤية وسماع الصوت كالتلذذ بالصلاة وجعل الآذان تصلى استعارة للخضوع والترقب لما تجود به من حديث عذب ورؤية حسنة واستعار اللؤلؤ المكنون للحديث الذى يصدر عنها والكلام الجيد الذى تتفنن فيه فيغذى العقول والأسماع ثم يصف تأثر القلوب بالزلزلة مستعيرا الزلزلة لهذا التأثر ويجعل القلوب حية نابضة تعقل وتحس فيدعوها داعى اللذة فتجيب على سبيل الاستعارة المكنية ويصور حفل الغناء ومكانه بالجنة وهى الحديقة الغناء التى تتابعت فيها المحاسن فملأت الجو حيوية ونشاطا وشوقا لما فيها

ويصور لقاءه بما جد فى الحياة العباسية من وسائل الحضارة كالمسك والعنبر حين يقول :

لقد كان ما بينى زمانا وبينها
كما بين ريح المسك والعنبر الوردى

فاستخدم المسك والعنبر فى التشبيه وهما من معطيات الحياة الجديدة .

وكان أبو نواس يعمد الى المعانى العميقة ويتفنن فيها ويستخدم صورا مما يقع تحت حسه وبصره كأن يقول :

وكأس كمصباح السماء شربتها على قبلة أو موعد بلقاء
اتت دونها الأيام حتى كأنها تساقط نور من فتوق سماء[٤٩]

---

(٤٩) ديوانه ص ٦٣ .

وكثيرا ما كان يتأنق في المعاني وصور الحنين والصد والدلال كأن يقول :

حامل الهوى تعب	يستخفه الطرب
ان بكى يحق له	ليس ما به لعب[٥٠]

وكان أبو العتاهية ذا اسلوب واضح يقوم على السهولة يقول الأصمعى شعر أبى العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر الذهب والتراب والخزف والنوى[٥١] .

ويقول ابن المعتز ان غزله لين جدا مشاكل لكلام النساء وانظر الى هذه الصور التى يستمدها من بيئته حين يقول :

كأنها من حسنها درة	أخرجها اليم الى الساحل
كأن فى فيها وفى طرفها	سواحرا اقبلن من بابل
لم يبق منى حبها ما خلا	حشاشة فى بدن ناحل
يا من رأى قبلى قتيلا بكى	من شدة الوجد على القاتل

فمع سهولة الألفاظ ورشاقة الوزن الشعرى نجد التشبيه بكأن والمشبه به هو الدرر المستخرجة من البحر والساحر الذى أقبل من بابل ثم يأتى بالكناية فى قوله : لم يبق منى حبها .. الخ فهو كناية عما أصابه من جراء هذا الحب ، ثم يستعير القتل لشدة عذابه فى الحب .

---

(٥٠) ديوانه ص ٣٦١ .

(٥١) الاغانى ٤/٤٠ .

وهكذا نرى الصور التى يفتن فيها الشعراء علــى هذا النحــو البديع محققة للمعانى التى يعتريها التجديد أحيانا والقــدم أحيانا أخرى فى أسلوب لغوى بارع •

ركذلك كان الشــعر العفيف الذى وجــد فى هذا العصر سواء عــلى لسان هؤلاء الشــعراء الســابقين أو من عاش للحب العذرى كالعباسى بن الأحنف •

ففيما أوردت فيما سبق من نصوص ترى انه جعل الهوى بحرا تتلاطم أمواجه والمحب يمشى فيه معرضا نفسه لمخاطره فى قوله :

حتى اذا سلك الفتى لحجج الهــوى •• الخ •

ويورد التعبير بنزف البكاء لدموع العين كناية عن ألمــه الشديد لعدم وصوله الى محبوبه وهو يرسل هذا التعبير مخاطبا نفســه على طريقة التجريد التى عرفت من قبل ويطلب من نفسه أن يستعير عينا غزيرة الدموع ليواصل بها البكاء ثم يوضح استحالة ذلك وهذا أيضا من عجيب استعماله للمعانى والكنايات فى شعره حيث يأتى بالبديع فى هذا الجانب بفلسفته الخاصة وأفكاره المتجددة(٥٢) •

وحسبك ان ابن المعتز كان يتفنن فى صوره وتشبيهاته تفننا يدعو الى الاعجاب ويلجأ فى ذلك الى تصوير المحسوس والمعقول تصويرا بديعا وهذا ينتشر فى شعره بصورة عامة وفى غزله وخمرياته ومن ذلك قولــه :

---

(٥٢) انظر ص ٨٢ من البحث •

ريم يتيـه بحسـن صـورته   عبث الفـؤاد بلحظ مقلتـه

وكـأن عقـرب صدغـه وقفت   لمـا دنت من نـار وجنتـه

وكـأن كفيـه تقسـم فى   أقداحنـا قطعـا من الشـمس

فقد جعل صدغه الذى كالعقرب يقف أمام وجنتـه التى كالنار وجعل كفى الساقى تحمل قطعا من الشمس تعبيرا عما وضع فى الأقداح من خمر وهو صـور لا تتأتى لغير ابن المعتز فى هذا الزخرف الحسى الجميـل[٥٣] .

---

(٥٣) الفن ومذاهبه ص ٢٧٠ .

الغزل في الأندلس

تمهيـــد :

بدأ الفتح الاسلامى للأندلس على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير ونشأ هناك ما يعرف بعهد الولاة الذين بدأوا بتولية ابن موسى ابن نصير عبد العزيز وكان عهد الولاة عهد اضطراب الى أن قــامت الدولة الأموية هناك بولاية عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨هـ وكان هذا العصر عصر تماسك واستقرار ازدهرت فيه حياة الأندلس الاسلامية ثم جاء بعد ذلك عصر الاضمحلال فى منتصف القرن الخامس الهجرى حين صارت الأندلس مقاطعات ودويلات صـغيرة (٤٠٣ : ٥٣٦هـ) وأهم هذه الدويلات الدولة الزيرية والدولة الحمودية والدولة الهودية والدولة العامرية والدولة العبادية ودولة بنى الافطس والدولة الجهورية ودولة ذى النون وكثيرا ما نشبت الحروب والمنازعات بينهما تحاول كل واحدة منها السيطرة على الأخرى وقد أتاح ذلك الفرصة للمسيحيين أن يفرقوا بينهم ويبثـوا العداوة بـين جوانحهم متحينين الفرصـة للسـيطرة والانقضاض على ملكهم وفى النهاية استطاع أعداء الاسلام أن يضموا اليهم هذه الدويلات الواحدة بعد الأخـرى حتى سقطت فى أيديهم وحدثت المـأساة العظيمة التى روع لها التاريخ وتأملت لها النفوس .

ولا شك أن الأندلس حين ملكها العرب كانت خصبة كثيرة الثروة اذ يذكر المؤرخون ان جزيرة الأندلس تغلب عليها المياه الجارية والشجر

والثمر والسعة فى الأحوال والخصب الظاهر الى جانب أسباب التملك الفاشية فيها وما فيها من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته[١] .

والعرب قد اختلطوا فيها مع غيرهم من الأجناس المتعددة فى الأندلس فتكون جيل تجرى فى عروقه الأصالة العربية ويكتسب صفات الجنس الآرى وقد نقل عن المقرى انه قال : (أهل الأندلس عرب من الأنساب والشعر وفصاحة الألسن هنديون فى افراط عنايتهم بالعلوم بغداديون فى نظافتهم وظرافتهم وجودة قرائحهم وثقافة أذهانهم وحدة أفكارهم يونانيون فى استنباطهم للحياة) .

ولذا ورثت فى هذا المجتمع بذور الثقافة العربية الخالصة التى تلقوها من منابعها الثلاثة وهى الأدب العربى القديم والأدب المعاصر فى المشرق وطبيعة الأندلس المرحة التى الهمت الشعراء ووهبتهم الزاد الشهى الى جانب الحركة العلمية العظيمة التى وجدت حظا كبيرا من العناية والرعاية على يد رواد العلم فيها وحاملى نهضتها ، ولذا بلغت الحضارة العربية فى الأندلس أوجها فتقدمت العلوم ونضجت الحياة الفكرية ونضرت صور الأدب وبلغت درجة الكمال وشهدت الأندلس عصر الابتكار للعلوم والموسوعات الأدبية والتاريخية والملاحم والقصص الخيالية الرائعة وقد ظهرت عوامل البحث العلمي التى أعانت على بروز أعلام في الشعر على وجه الخصوص وصلوا فى البلاغة الى درجة السمو كابن زيدون ونضجت الملكات البشرية وحصفت الألسنة حتى فوم الشعر الخاصة والعامة ويمكن أن نقول انهم قد أوتوا سليقة الشعر وزاد كلفهم به الى درجة أن عرف عندهم بموضع

---

(١) نفح الطيب ج ١ ص ١٢٩/١٣٠ .

الشرف والكرامة وكانت اللغة العربية لغة الدين والأدب قد دخلت مع العــرب الفاتحــين وطغت عــلى ســائر اللغــات الأخــرى فى الأندلس حتى صارت لغة التدريس فى ميادين العلم ومعاهده[٢] ولغة المحادثة الى درجة تغلغلت فيها بين اللاتينيين أنفسهم بصــورة مذهلة دفعت القساوسة الى الشكوى مثــل الكاهن المسيحي الذى أعرب عن ضيقه الشديد من انصراف اللاتينيين عن لغتهم علي حين انهم يتكلمون العربية بأبلغ عبارة وأجزل أسلوب ولا غــرو فهى التى أثرت عــلى شعر التروبادور يؤكد ذلك قول المستشرق استانلي بول(لقد نسى النصارى لغتهم وضاعت لغتهم ضياعا ذريعا بينما هم قادرون علي قرض الشعر العربى ومن العسير أن نجد واحــدا منهم فى كل ألف يكتب حــرفا لاتينيا كتابة سائغة وهم مع هذا يستطيعون أن ينظموا شعرا عربيا رائعا)[٣] .

وفى الحق ان العصر الأندلسى كان عصر تفوق شعرى وملكات متحضرة مدركة لمكانة الشعر فوجهت الجهود اليه وجدير بنا أن نسجل الابهة والعظمة والجمــال الأندلسى الذى فتح ظهور الشــعر وفجر انهاره حتى طبعت عليه الألسن وارتادت سلحته وربلضه منذ نشــأة حضارة الأندلس والشعر محوط برعاية الملوك والأمراء الذين أجزلوا العطاء لأهله .

وقد نشأ أدب أندلسى واسع الأغراض فى المدح والهجاء والرثاء والحكمة والزهد والتصوف والشعر الحماسي والوصف والغزل وأشهر

---

(٢) دولة الاسلام فى الاندلس لمحمد عبد الله عنان ج ٢ ص ٢٤ .
(٣) قصة العرب فى أسبانيا ترجمة الجارم ص ٨٣ .

الأغراض ما كان فى شعر الطبيعة الذى وجد البواعث فى بيئة الأندلس ونبغ فى هذه الأغراض عديد من الشعراء ويهمنا هنا أن نتحدث عن الغزل باعتباره غرض الدراسة ومبحثها .

لقد كان كل شىء فى الأندلس جميلا فطبيعتها كما ذكرنا تفيض بالخصب والطبيعة الساحرة الى جانب الحياة الحضارية والترف وقد كان وجود الجوارى والغلمان فى تلك البيئة الى جانب وسائل اللهو الأخرى دافعا الى وجود الحياة اللاهيـــة وهذا فتح مجـــالا واسعا للشعراء فى هذه البيئة فى داخل القصور وخارجها وفى تلك الحياة التى تمتعت فيها المرأة بحرية واسعة فالمرأة كانت تشارك الرجـــل فى الأعمال وكانت تلتقى به فى الندوات وكانت تشتغل بالتدريس والطب والأدب والشعر .

فوجدت نساء شاعرات فى هذه البيئة ولذا وجدنا شعر الغـــزل ينبت فى هذه البيئة ويتسع مداه الى جانب المجون والعبث فالشاعر قد يعبر عن حبه ولهوه ويصف شغفه بالمحبوب أو اقتناصه للفـــرص التى قد تصل الى حد ما يسمى بالأدب الماجن أو اللاهى فى بيئات يكثر فيها الشراب واللهو والرقص واقتناء الجوارى الحسان .

وقد رأينا بعض الشعراء يأتى بذكر من يحب فى مطلع القصائد على نظام المشارقة فهذا الشاعر يوسف بن هارون الملقب بالرمادى[٤] يقول فى مطلع قصيدة لعبد الرحمن التجيبى مادحا له :

---

(٤) ولد فى بدء القرن الرابع الهجرى ونشـــأ فى قرطبـــة وتوفى سنة ٤٠٣هـ انظر جذوة المقتبس ص ١٠٧ ، ٣٤٩ وانظر الصلة ص ٦٣٨ والمطمح ص ٧٠ .

قفـــوا تشـــهدوا بثى وانكار لائمى

عــلى بكائى فى الرســوم الطواسم

أيــأمن أن يغـــدوا حــريق تنفسى

والا غريقــا فى الدمــوع السواجم

خــذوا رأيــه ان كان يتبــع كل من

ينــوح عــلى ألافـــه بالمــلاوم

فهــذا حمــام الأيــك يبكى هديلــه

بــكائى فليفــرغ للــوم الحمــائم

. . . .

خلا نظــرى من نومه بعد (خلوة)

متى كان منى النوم ضربــة لازم(٥)

ونجد الشعر فى هذا الفن يتحدث عن اللوعة والألم والصبابة التى يعانيها الشاعر مثل قول الرمادى :

على كبدى تهمى السحاب وتذرف ... وعن جزعى تبكى الحمــام وتهتف

كأن السحاب الواكفات غواسلى ... وتلك عــلى فقــدى نوائح هتف

الا ظعنت ليــلى وبــان قطينهــا ... ولكننى بــاق فلومــوا وعنفــوا

وآنست فى وجه الصباح لبينهــا ... نحولا كأن الصبح مثلى مدنف(٦)

---

(٥) جذوة المقتبس ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

(٦) مطمح الأنفس ص ١٨٢ .

وقد يلجأ الى المبالغة فى عواطفه وتصويره كأن يقول :

وانى لأغضى الطرف عنك جـــلالة وخوفـــا على خديك من لحظــات
ولو أعمدت عينى عليك بأن ترى ســناك لحــالت دونهــا عبراتى
وهـــل أنا الا طـــالب لمنيتى اذا حلت عمن فى يديه وفاتى[٧]

فكيف أنه يغمض طرفه اجلالا للمحبوبة وخوفا أن تجرح خدها اللحظات .

وكيف تحجز الدموع بينها وبينه وانه يطلب الموت اذا فرق بينه وبين محبوبته .

والى جانب هذا اللون نرى أن الشاعر نفسه يذكر تمكنه من المآرب والملذات والشهوات ولكنه يعرض عنها حفاظا عــلى ما عند نفسه من العفاف والطهر فهذا الشاعر نفسه يقول :

وكـــان تحليـــل ازاره أقـــود من ألف شـــيطان
فتحت الجنـــة من جيبـــه فبت فى دعـــوة رضـــوان
مـــررة فى الحب تنهى بـــأن يجـــاهر اللـــه بعصـــيان

وقد ظهرت هذه النغمة وهى الحديث عن امكان العصيان مـــع التمنع منه عند شعراء الغزل فى هذا العصر فهذا ابن فرج أحد شعراء هذا العصر يقول :

وطائعة الوصـــال صددت عنهـــا وما الشـــيطان فيها بالمطـــاع
بـــدت فى الليـــل سافرة فبـــاتت ديـــاجى الليل ســافرة القنـــاع

(٧) يتيمة الدهـــر ١٠١/٢ .

فملكت الهوى جمحات شوقى لا يجرى فى العفاف على طباعى
وبت بها مبيت الطفل يظما فيمنعه الفطام عن الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلى سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات فأتخذ الرياض من المراعى

وقد ذكر ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة ما يدل على طرائق شعراء الأندلس فى الغزل وانهم كانوا يعجبون بالجمال الأشقر وتحدث عن ألوان من الحب بعضها يؤدى الى الجنون وآخر يؤدى الى الانتحار وأن الجوارى كن يسيطرن على الغزل الذى لم تكن نساء الأشراف تنغمس فيه أو يجرؤ الشعراء على النيل منها(٨) .

والربط بين الحب والأخلاق يظهر قويا فى الغزل الشائع فى الأندلس متذرعا بأن الدين هو الحافز على المنع من السقوط فى الرذيلة مع اننا ربما نفهم أن ذلك أمر بدا كمحاولة من الشعراء أو بعضهم لاظهار تصنع العفاف فمجالس اللهو والمتع الحسية كانت منتشرة هناك وكم غصت المجالس بشرب الخمر والرقص ويروى ابن بسام ان المنصور أحضر الوزير أبا مروان فى يوم لهو ودار الرقص فلما انتهى الى الوزير لم يستطع القيام لنقرس كان يلازمه فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس فارتجل أبياتا منها :

هاك شيخ قادة عذر لكا فقام فى رقصته مستهلكا
طرب اللهو وقد حق له طربا أرقصه حتى اشتكى

وقد ظلت نغمة الحديث عن العفاف تجرى على لسان

---

(٨) طوق الحمامة ص ٣٨ .

الشعراء بعد عصر الرمادى وابن فرج فهذا أبو جعفر أحمد بن الابار من شعراء المعتضد يقول :

حتى اذا غـازلت أجفـانه سـنة وصيرتـه يد الصهباء طوع يدى
أردت توسـيده خـدى وقلت له فقـال كفك عندى افضل الوسد
فبـات فى حـرم لا غـدر يدعره وبت ظمآن لم أصدر ولم أرد[٩]

مع أنه قد أثر عن ابن الأبار قطع شعرية فيها مجون وهذا يجعلنا نقول انه جاء بالاتجاهين فى شعره[١٠] .

وابن زيدون فى حبه لولادة تبدو عليه آثار الشـكوى ومرارة اللوعة من الحرمان لكنه فى مطلع علاقته بها كان يلاقيها وتلاقيه وتكفى هذه الأبيات التى نسبت اليه :

ودع الصـبر محب ودعـك ذائـع من سره مـا اسـتودعك
يقـرع السـن على أن لم يكن زاد فى تـلك الخطى اذ شـيعك
يا أخـا البـدر سـناء وسـنا حفظ اللـه زمـانا أطلعك
ان يطل بعـدك ليـلى فلـكم بت أشـكو قصر الليـل معـك

وكانت ولادة على جانب من الجمال وكان لها كثير من الحريـة والجرأة تقتضى منها التعبير عن عواطفها ويـذكر ابن بسـام أن ولادة على علو نصابها وكرم أنسابها وطهارة أثـوابها أوجـدت الى

---

(٩) الذخيرة المخطوط ص ٥٢ .

(١٠) تاريخ الأدب الأندلسى للدكتور احسان عباس ص ١٥٦ — ١٦٧ .

القول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها نقد كتب فيما زعموا على أحد ثوبيها مطرزا بالذهب :

وأمكن عاشقى من صحن خدى

وأعطى قبلتى من يشتهيها[١١]

وبعد أن حرم ابن زيدون منها جاء شعره فى الغزل رقيق الجانب

وقد برزت فى هذا اللون من الغزل أسماء نساء تغزل بهن الشعراء من الجوارى فشاعر من بنى حمود هو ابن السراج المالقى يحب جارية تسمى (حسن الورد) وجارية أخرى تسمى (ازهر) وله فيهما شعر[١٢] .

وشاعر آخر هو ابن الحداد كان يحب فتاة نصرانية اسمها (جميلة) وكان يسميها في شعره (نويرة) ومما قاله فيها :

ورأت جفوني من نويرة كاسمها نارا تضل وكل نار ترشد
والماء أنت وما يصح لقابض والنار أنت وفى الحشى تتوقد

وهذه القصة التى دار فيها الغزل بين ابن الحداد وصاحبته لم تكتب لها الشهرة والذيوع بمثل ما كتب لقصة ابن زيدون وولادة لأسباب كثيرة .

وهناك نوع آخر من الغزل كان مشهورا مثل شهرته بالمشرق وهو الغزل بالمذكر ومن ذلك قول الرمادى فى غلام مسيحى :

---

(١١) الذخيرة ص ٣٧٦ .

(١٢) الذخيرة ج ١ ص ٣٦٣ .

قبلتـــه أمـــام قلـــبيـــه شربت كاســـات بتقديـــه
يقـــرع قـــلبى عند ذكـــرى لـــه من فرط شوقى قرع ناقوسه[١٣]

وهذا الشعر الغزلى كان يهتم بالأوصاف المـــادية فيتكلم عن اللحظ الذى هو كالسهم وعن الريق الذى يمـــاثل الخمـــر وعن الشعر الذى كالليل والعيون التى كالنرجس وهذا ما كان يشيع متبعا شعر المشرق •

ومن الأوصاف المـــادية قول ابن زيدون :

وأحور ساجي الطرف حشو جفونه سقام برى الأجســـام منه سقام
تخال قضيب البـــان فى طى برده اذا اهتز منـــه معطف وقـــوام
يديم على رغم العداه من وداده ســـلاما كأن المسك منه ختام[١٤]

وتشيع فى الغزل الأندلسى المعانى التى يعبـــر بها عن الفرح بالظفر بالمحبوب وعن الألم للفراق وكثيرا ما يبكى الشاعر أيام سعادته بالقرب من الحبيب ويحن الى أيامه الآفلة[١٥] •

ومن السمات البارزة فى هذا الغزل انه جاء فى هيئة رســـائل مكتوبة الى من يتغزل فيها كقصائد ابن زيدون فمعظمها على هيئـــة هذه الرسائل والنجوى الغزلية يبعثها الى ولادة بدل الكتابة النثريـــة كما فى هذه القصيدة :

أضحى التنـــائى بديـــلا من تدانينا

ولا ريب أن حصائد النهضة الأدبية أوجدت هـــذا الفن الجديد ولذلك شهدت الأندلس حياة أدبية متـــألقة ذات نصيب موفور من

(١٣) المطمح ص ٨٣ •
(١٤) ديوان ابن زيدون ص ٢٧٧ •
(١٥) فى الأدب الأندلسى د. جودت الركابى ص ١٢١/١٢٢ •

الابداع الفنى ويرى بعض المستشرقين أن الشاعر الأندلسى تقليد لرفيقه فى بغداد ومن عجيب أمرهم أنهم يعتمدون فى ذلك على الوزن والقافية لكننا نقول ان البحور والقوافى ملك لجميع الشعراء وانما الشأن للصياغة والمعنى والشعور وحسبنا فى ذلك شهادة نيكلسن (ولعل أمتع مميزات الشعر الأندلسى هى ذلك الوجدان العاطفى الرقيق الذى يندر وجود مثله فى النسيب والذى ظهر كثيرا فى أغانيهم عن الحب فهو وجدان لا يقتصر على تصوير فروسية القرون الوسطى بل يتخطى ذلك الى حد أن تحسبه احساسا جديدا يحمل الطبيعة التى حملته)(١٦) .

ولم يقحموا أنفسهم بين النظرات الفلسفية والمنطقية مثلما فعل أدباء الشرق مما طبع شعرهم بطابع متميز فى خلوه من التأملات الفكرية العميقة لنفورهم من الفلسفة وفى الرقة والعذوبة ووضوح الأداء والاحتفال بالصور المترفة الجميلة وقد وهبت الصور البديعة الخلابة الشعراء المواهب الخلاقة وليس أدل على ذلك من ابن زيدون الذى يقول فى قصيدته الرائعة :

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا

والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا

وهى تروع الناظر بوشيها الذهبى البارع وتنطق بالمعانى الجيدة ولذلك يقرر نيكلسن انها تفيد فى توطين الشعور العميق فى الطبيعة التى كانت مميزة للشعر الأندلسى .

---

(١٦) نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى ص ١١٨ و ٣٤٠ وناشر ديوان ابن زيدون ص ١٢٠ .

ويمتاز شعر الغزل أيضا كما يمتاز سائر الشعر فى الأندلس بالسهولة فى الألفاظ حتى فهمه الخاصة والعامة ومن سماته أيضا بعده عن الطابع المادى والعقلى الذى كان سمة الفن العربى فى الشرق بسبب النحل والمذاهب كقول المتنبى :

تناهى سكون الحسن فى حركاته   وليس لراء وجهها لم يمت عذر

والحركة والسكون من الألفاظ الفلسفية لأن المتنبى كان كما يقال مادى المذهب .

شاعر الغزل ابن زيدون

نســـبه :

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومى[1] وهو نسب يرجع الى قريش وهو عربى الأصل ان لم يكن فى الذروة •

وزيدون كلمة زيدت فيها الواو والنون ويقال ان هـــذا النوع من الأسماء لم يعرف الا فى الأندلس وهذا مما اختص بـــه الأســـبان قاصدين به التعظيم والتضحية التى غرست فيهم والتحمت بطباعهم وكانت سجيتهم •

مولده ووفـــاته :

اختلف المؤرخون فى تاريخ مولده ولكن أرجح الأقوال أنه ولد سنة ٣٩٤هـ بحى الرصافة من أحياء قرطبة[2] التى نوه بها الشـــاعر مثل قوله :

ولا زال نور فى الرصافة ضاحك   بأرجائها يبـــكى عليـــه غمـــام

معاهد لهـــو لم نـــزل فى ظلالها   تـــدار علينـــا للمجنـــون مـــدام

وتوفى باشبيلية ســـنة ٤٦٣هـ •

نشـــاة الشـــاعر وأخلاقه :

لقد فقد الشاعر أباه فى الحادية عشرة من عمره وتعاورته عوامل مثبطة وأخرى ملهمة مثل اليتم المبكر والتحلل أحيانا من الأخـــلاقيات

---

(١) وفيـــات الأعيان ٥٣/١ •
(٢) سرح العيون ص ٤ •

نتيجة الترف والنعيم المسرف الذى تقلب فيه فى الرصافة وقـد كان منه على جـانب كبير وهو فى شبابه أو كهولتـه ولكن عوامل البعث كانت أقوى فى نفسه وغيرت مجـرى حيـاته فكان ذا مكانة دينيـة مرموقة وقد ترك له والده ثروة مما أسهم فى تشكيل حياته الى جانب عوامل اليقظة التى خلقت فيه الذكاء .

وكان ابن زيدون معتزا بنفسه وافر الآداب جم الفضائل فيـه عزة وكبرياء مع الثقة فى النفس يقول :

خصنى بالأدب الله فـأعلى فيـه شـأنى
خاطرى انفـذ مهما قيس من حد السـنان

وكان ابن زيدون خفيف الروح لطيف الدعابة نال شهرة واسعة بين أترابـه .

بيئتـه وثقافتـه :

فى أحضان الحضارة الأندلسية تربى وترعرع ابن زيدون وبعد أن شب وجهته أسرته الى حفظ القرآن الكريم وتلقى العلم فظهـر نبوغه وتألق نجمه وتلقى الشعر من ينابيعه الصافية وبذلك وصل الى مكانة حسده عليها الحاسدون ولا عجب فيما وصـل اليـه فقد ورث المجد عن أبيه وجده وأظلته البيئة بالنبوغ العقلى والنضوج الفكرى فالانسان وليد البيئة التى يعيش فيها .

رفيقـة صـباه ولادة :

هى ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الملقب بالمستكفى بالله الخليفة الذى جاء قبـل المعتمد بالله آخـر خلفاء بنى أمية فى الأندلس وكانت بيعته سنة ٤١٤ (٣) .

---

(٣) الذخيرة ١ ص ٣٨٧ .

نشــأت ولادة فى بيئة مترعة بالجمال مترفة وقد أحاطتها هذه البيئة بمظاهر الحسن وجمال الشكل ورونق السمت والمواهب العظيمة فكان لها أكبر الأثر فى حياتها ، عنيت عناية كبيرة بالناحية الأدبيـــة ونبغت فيها ولعل نبوغها فى الشعر راجع الى بعض صفات وراثيـــة ورثتها عن أجدادها العظام ولم يصلنا من شعرها الا القليل .

قال أبو الوليد : كنت فى أيام الشباب وغرة التصاب هائما بغادة تسمى ولادة فلما قدم اللقاء وساعد القضاء كتبت الى :

ترقب اذا جن الظـلام زيـارتى ... فـانى رأيت الليــل أكتم للسر
وبى منك ما لو كان بالبدر ما بدا ... وبالليل ما ادجى وبالنجم لم يسر[٤]

وقد ولع ابن زيدون بها وهو فى الثلاثين من عمره وقـد ذاع هذا الحب واشتهر بقول :

أغائبــــة عنى وحـــاضرة معى ... أناديك لمــا عيــل صبرى فاسمعى
أفى الحق أن اشقى بحبك أو أرى ... حريقــا بأنفاسى غريقــا بأدمعى
ألا عطفة تحيا بها نفس عاشــق ... جعلت الردى منه بمرأى ومسمع

ولم تدم الصلة بينهما اذ حدثت أمور ووشايات غرسها منافسوه وتحينوا الفرص للنيل منه عندها فنبهها قائلا :

لمــا اتصلت اتصال الحب بالكبد ... ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
ساء الوشاة مكانى منــك واتقدت ... فى صدر كل عدو جمرة الحســد
فليسخط الناس لا أهدى الرضا لهم ... ولا يضع لك عهد آخر الأبــد

والظاهر أنها صافته الود الا انــه زهى بنفسه وعلا بروحــه وأظهر ميلا لجاريتها مما جعلها تنقلب عليــه لفســاد ذوقه وســوء اختياره فقــالت :

---

(٤) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص ٣٧٧

لو كنت تنصف فى المودة بيننا لم تهو جاريتى ولم تتخير
وتركت غصنا مثمرا بجماله وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولما وقع الجفاء بينهما وأعرضت عنه متوجهة الى ابن عبدوس قال لها :

عيرتمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحب وما فى ذاك من عار
أكل شهى أصبنا من أطايبه بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

ولما أدخله أبو الحزم بن جهور السجن جنح الى العتاب والشكوى الى أميره وأصدقائه وانقلبت عاطفته الى الرجاء فأرسل قصيدته اليها يستدر عطفها ويرضي كبرياءها .

أضحى التنائى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وفى بعض القصائد أخذ يذكرها فيقول :

فديتك ان تعجلى بالجفا فقد يهب الريث بعض العجل
الم أرض منك بغير الرضا وأبدى السرور بما لم أنل

ومع ذلك عاشت ولادة مع ابن عبدوس بقية حياتها .

شاعرية ابن زيدون :

الشاعر النابغة ابن زيدون قال الشعر فى جميع أغراضه فلم يغلق أمامه باب من أبوابه وهو متمتع بقريحة مبدعة قادرة علي التكوين والتشكيل ولذلك شغف كثير من المستشرقين بدراسة آدابه وكان لشعره ملامح وسمات بارزة فهو شاعر وجدانى صادق الشعور وهو مولع بالثقافات المتعددة التى كان يقتبس منها في شعره ومن ذلك تضمينه القرآن الكريم فى شعره كقوله :

انا قرأنا الأسى يوم النوى سورا   مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

وقد يقتبس من الحديث الشريف كقوله :

همام أغر رويت الفخار   حديثا الى شدوه مسندا(٥)

ومن الأغراض البارزة فى شعره الغزل وتبدو فى أشعاره الغزلية صورتان الصورة الأولى مستمدة من أشعاره العذرية التى لا تعنى بوصف المحاسن الجسمية للمحبوب والثانية تبدو فيها المعانى والأوصاف الجسمية والصور التقليدية وقد صور ابن زيدون اللقاء والوصال ولواعج الهجر ومرارة الصد ونونيته وحدها كفيلة بترجيحه على سائر شعراء عصره ومن ثم عارضها كثير من الشعراء بتسديسها وتخميسها واتخاذها أساسا للموشحات وقد سدسها أبو بكر محمد بن الحسن بن حبيش فقال :

ما للجفون بسهم اللحظ تصمينا   وعن قطاف جنى الأعطاف تحمينا

أضحى التنائى بديلا من تدانينا   فالشوق روضتنا والدمع ساقينا

وقد جعلها فحول الشعراء مثالا يحتذى فهذا شوقى يقول فى شوقه لمصر :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا   نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

ويتسم غزل ابن زيدون بانتقاد العاطفة وتوقد الاحساس وعذوبة ألفاظه وسهولتها وصفاء عبارته التى تخلو من التعقيد والالتواء وقد تغزل غزلا بدويا على طريقة ابن أبى ربيعة يقول من قصيدة يمدح بها أبا الوليد :

---

(٥) الديوان ص ٢٥٢ .

ولم يثننا أن الربـــاب عقيلة ... تساند سعد دونها ورباب
وان ركزت حول الخدور أسنة ... وحفت بقب السابحات قباب
يعلل من أغريض ثغر يعله ... غريض كماء المزن وهو رضاب
الى ان بدت فى دهمة الأفق غرة ... ونفر من جنح الظلام غراب[6]

الا أن هذا الغزل متكلف مع انه لا يقل عن غزل ابن أبي ربيعة فى الصياغة الموسيقية .

ولابن زيدون نوع من شعر الغـزل يحـاكى فيه الجاهليين فى طريقة الابتداء ومطالع القصائد كقوله :

ما للمـدام تديرها عيناك ... فيميل فى سكر الصبا عطفاك
هلا مزجت لعاشقيك سلافها ... ببرود ظلمك أو بعذب لماك
بل ما عليك وقد محضت لك الهوى ... فى ان أفوز بحظوة المسواك

ثم ينتقل بعد البيت الثانى عشر الى غرضه الأصلى وهو المدح للجهورى أبي الوليد خلائق ... كالروض اضحكه الغمام الباكى[7]

وله نوع من الغزل لا تبدو فيه العاطفة ولا التعبير عن ألم وان جاء فى ثوب موسيقى أخاذ من مثل قوله :

يقصر قربك ليلى الطويلا ... ويشفى وصالك قلبى العليلا
وان عصفت منك ريح الصدود ... فقدت نسيم الحياة البليلا[8]

ويقارن النقاد بينه وبين البحترى ويلقب ابن زيدون بأنه بحترى المغرب لما بينهما من صلات قوية فى حسن الصياغة والتقسيم الموسيقى .

---

(٦) الديوان شرح وتحقيق محمد سيد كيلانى ط الثالثة ص ٢٢ ، ٢٣ .
(٧) المصدر السابق ص ٤١ ، ٤٢ .
(٨) المصدر السابق ص ١٥٠ .

والمراد بالموسيقى هنا ليست الموسيقى التى تعتمد علـى الوزن والقافية فحسب بل الموسيقى الداخلية أيضا وهى التى تقوم على حسن الاختيار للفظ وموقعه من الجملة وموقع الحرف فى الكلمة وموقـع الكلمة من العبارة فتصبح وحدة واحدة تؤدى المعنى المراد على نبراس ما يرى الامام عبد القاهر فى بلاغـة النظم ولذا يكاد السـامع ينطق بأبياته وقوافيها قبل وقوعها فكان يضع الرقة فى موضـع الرقـة والجزالة فى موضع الجزالة مثل صاحبه البحترى .

يقول البحترى :

سـيدى أنت كيف أخلفت وعـدى
وتثـاقلت عن وفـاء بعهـدى

لم تجد بى كما وجـدت ولا أنصفت أن
انت لم تجـد مثل وجـدى

رب يـوم اطعت فيـه لك الغى
وورد لخـديـك وردى

أما ابن زيدون فيتشدو قائلا :

أنى أضـيع عهـدك أم كيـف أخلف وعـدك
وقـد رأيت الأمـانى رضـا فـلم تتعدك
ياليت مـا لك عنـدى من الهـوى لى عنـدك
فطـول ليـلك بعـدى كطـول ليـلى بعـدك

وكان يأتى بالجناس وألوان من البديع الأخـرى تعمل عـلى التوافق الصوتى بين الألفاظ ولكن فى يسر ولين فـلم يركن للتعقيد أو الفلسفة مع درايتـه لها وعلمه بها :

فيقول ابن زيدون :

الحب فى تلك القباب مراد . لو ساعف الكلف المشوق مراد

فبين مراد ومراد جناس سهل .

ومن ناحية الفن الغزلى نرى النسيب عند البحترى تقليدا محضا لكنه صادق العاطفة عند ابن زيدون ويقال ان نونية ابن زيدون كانت معارضة للبحترى فى قصيدته التى مطلعها :

يكاد عاذلنا فى الحب يغرينا .... الخ .

لكن قصيدة البحترى خلو من العاطفة ولا تعدو أن تكون خواطر لا ربط بينها على حين تفيض نونية ابن زيدون بالمشاعر وتهدر بالموسيقى والأحاسيس ويمثل الغزل ثلث ديوان ابن زيدون وهو قدر كبير يدل على اهتمامه بهذا اللون من الأغراض فى حين اننا لا نعرف فى الأندلس شاعرا تفرد للغزل وقصر غرضه عليه .

وقد حاول كثير من الشعراء تقليد ابن زيدون فى كثير من قصائده .

ومن الذين تأثروا به الشاعر المصرى البهاء زهير وقد ذهب فى شعره مذهب السهولة واختيار الأوزان الخفيفة .

كقوله :

سيدى قلبى عندك سيدى أوحشت عبدك
اترى تذكر عهدى مثلما أذكر عهدك
ام ترى تحفظ ودى مثلما احفظ ودك

فهو شبيه فى المعنى والوزن والموسيقى بما نقلناه سابقا من قول ابن زيدون (أنى أضيع عهدك) .

وقد احتل ابنزيدون اسمى الدرجات ويعده بعض المستشرقين من أعظم شعراء الأندلس وبعضهم يعده أكبر شعراء العصر الكلاسيكى الأندلسى وشعره ذو نزعة انسانية يكاد يشـــبه شعر الغربيـــين ومن الانصاف أن نذكر ان بعض المحدثين تنبهوا الى خطر منزلته فقـــال أحمد أمين :

انه أحب شعراء الأندلس الى نفسى وأقربهم الى قـــلبى ويظهر أن غزله فاق غزل العباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد وغيرهمـــا وفاقت ديباجته ديباجة البحترى وحسن سبكه ونصاعة أسلوبه وأخذ طول نفس ابن الرومى وتدفقه حتى يأتى عـــلى آخـــر المعنى الذى يريده[٩] •

(٩) ضحى الاســـلام ٣/١٥٠ — ١٥٨ •

خاتمة البحث

ان أغراض الشعر العربى كثيرة ومتنوعة وهى تعبر عن حاجات النفس ومتطلبات الحياة الانسانية ولا شك أن دراستها عند شاعر واحد أو عدة شعراء فى عصر معين تكشف عن خصائص هذا الشاعر أو جماعة الشعراء فى تمثيلهم لبيئتهم والتعبير عن مظاهرها ولما كانت العصور التاريخية والأدبية يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا لاتصال الحياة فى المجتمع الواحد فان دراسة الغرض الشعرى على سبيل التتبع والاستقصاء فى العصور التاريخية المتلاحقة تكشف عن المشابهة فيما تحققت فيه كما تكشف عن وجوه الاختلاف بين الجماعات الانسانية المتتابعة فى المجتمع الواحد على مر العصور وتبين التأثر والتأثير بين هذه الطبقات المتلاحقة ويمكن معرفة جوانب التجديد والتقليد فيها •

لذا آثرت دراسة غرض واحد من أغراض الشعر لاكشف عن جوانبه وخصائصه وتنوعها فى عصور أدبية تمثل قوة الشعر العربى فى المشرق والمغرب ذلك الغرض هو فن الغزل •

وقد تتبعت هذا الفن فى الشعر العربى منذ نشأته الى ما قبيل ظهور العصر الحديث موضحة دواعى نشأته والعوامل التى ساعدته على الابداع فيه وعلى تنوع اتجاهاته بين غزل تدفع اليه عوامل الترف ونوع تدفع اليه مبادىء ومثل اعتاد العربى عليها وكان للدين أثر واضح فيها كما أن هناك بعض الأنواع نشأت من البعد عن هذه القيم والتأثر بمؤثرات أجنبية ناجمة عن الانحلال الخلقى لبعض المجتمعات المجاورة للعرب فوجد الغزل العفيف واللاهى والغزل

بالمذكر وجرى العربى على طبيعته فى أنواع أخرى مبنية علـى بعض النواحى النفسية للشاعر العربى كاستعمال الغزل فى مطالع القصائد والانتقال منه الى الأغراض الشعرية الأخرى حتى أضحى ذلك طريقة صناعية تتبع للتشويق وجذب الانتباه الى غرض الشاعر الأصلى .

وقد كشفت النقاب عن خصـائص كل لون من هـذه الألوان الغزليــة من ناحية الألفاظ والأسـاليب والمعانى والأخيلة والصـور والتجربة الشعرية والعاطفة المتقدة أو الفاترة المصطنعة ويؤكد البحث تلاحما بين العصور فاللغة ملك للجميع وقد خضع المجتمع العربى فى بيئاته المتعددة لمؤثرات متشابهة مما جعل الشعراء يجرون فى فلك متشابه وان اختلفوا فى مكونات مزاجهم الذى يبـين بعض وجـوه الاختلاف التى أبانها البحث فكنا نرى التشبيهات والصـور تعبر عن البيئة فان كانت بدوية حملت معالم السماء والأرض والنبات والحيوان والمياه الى غير ذلك من مظاهر طبيعية انعكست على الصور الأدبيـة والتعبير الفنى فى حين لاحظنا من يعيش فى المدن ومن تأثر بالحضارة فى المشرق أو فى المغرب يأتون بصـور تعبر عن مظاهر الحضـارة وتتأثر بها كما تعبر عن مدى ثقافة الشاعر بالعلوم المختلفة اسـلامية أو فلسفية أو غيرها .

وأوضح البحث تمكن شعراء الغـزل من العربية فى العصـور الأولى فجاءت أشعارهم تحمل الطـابع الفنى القوى فى حين بدت الصورة أقل قوة فى عصر بعض الدويلات التى استقلت فى أواخـر الدولة العباسية مما جعل الشعراء يهتمون بالشكل أكثر من المضمون فاهتموا بالزخـارف اللفظية كالجناس والطباق والتورية الى غير ذلك فى حين قل حفلهم بالمعانى والجزالة فى الألفاظ والأساليب .

وجاء الشعر الأندلسى فى هذا الغرض معبرا عن تلك البيئة التى كانت تموج بمظاهر من جمال الطبيعة التى تحفل بها البيئة الأندلسية وما كان يموج به العصر من علم وثقافة وحضارة الى جانب ما اعترى تلك البيئة من مؤثرات حضارية أوربية ولا شـك أن الغزل فى تلك البيئة كان له طابع القوة على لسان شـعراء كان لهم باع طويل فى اللغة فأبدعوا فى هذا الفن بما أبرز شخصيتهم ووضعهم فى مصـاف الشعراء المجيدين بما لا يقل شأنا عن المشارقة ولم يكن الأندلسيون مقلدين للمشـارقة فى كل جوانب هذا الفن كما يدعى بعض الباحثين انما كان لهم جوانب ينفردون بها فى اختيـار الألفـاظ واستخدام الصور فى التعبير عن العواطف وفى تلوين الأفكار بما يشـهد لهم بالجدة والابتكار .

وبلغ من تفوق شعراء الأندلس فى الموهبـة الشعريـة وبروز عصائصهم الفعالة أن تركوا تأثيرهم فى الأوربيين ويلاحظ نقاد الأدب أن شعر الغزل العفيف الذى نشأ فى الأندلس كان له تأثير كبير عـلى الأدب الأوربى اذ تحدث بعضهم عن نشأة الحب الرومانسى يقـول انه لم تبدأ نشأته الا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين أيام التروبادور حيث نلاحظ فى الأوساط الشعرية ومن ثم فى قصص الفروسية شيئا يشير الى أنه عاطفة يسميها باسكال بانفعالات الحب وهو يعزو نشأة هذا الحب الى ما امتزجت به ثقافتهم من تيارات وردت الى أوربا عن طريق جنوب فرنسا .

وبذلك نرى أن شعر العواطف الأندلسى هو الذى أثر فى شعراء التروبادور .

وكان ابن قزمـان القرطبي المتوفي سـنة ٥٥٥هـ من أصحاب الموشحات الذين أثروا عن طريقها في الشـعراء الأوربيين بما تغنوا فيها من الحب العفيف •

وهكذا ندرك ما كان لشعراء الأندلس بعامة وأصحاب الغـزل بخاصة من أثر بالغ •

وعلى غرار هذا البحث يمكن دراسة الأغراض الشعرية الأخرى في الأدب العربي حتى تظهر خصائصه مع الموازنـة التي يتضح بها مجال التقليد والتجديد وبذلك نتلافى القصور الذي يقع في دراسة كل عصر على حدة دون ربط له بسابقه أو لاحقه •

أهم مصـادر البحث

ـ الأدب الأندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة للدكتور احمد هيـكل ـ الطبعة العاشرة . دار المعارف ١٩٨٦م .

ـ الأدب العربى وتاريخه الجزء الثالث للأسـتاذ محمـود مصطفى ـ مطبعة البابى الحلبى ١٩٣٧م .

ـ ازهار الرياض لشهاب الدين احمد بن محمد (المقرى) ـ ط مصر .

ـ الأغـانى لأبى الفرج الأصفهـانى . ط بولاق ، ط دار الكتب المصرية ، ط دار الشعب .

ـ الأمـالى لأبى على القـالى ـ ط دار الكتب ١٩٢٦م .

ـ بلاغـة العـرب فى الأندلس للدكتـور احمد ضيف ـ مطبعـة مصر ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م .

ـ البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) ـ ط لجنة التاليف والترجمة والنشر .

ـ تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى امية لكارلو نالينـو ط ١٩٥٤م .

ـ تاريخ الأدب الأندلسى ـ عصر الطوائف والمرابطين ـ للدكتور احسان عبـاس ـ ط الأولى ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٢ م.

ـ التطور والتجديد فى الشعر الأموى للدكتور شوقى ضيف ـ ط لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٥٢م .

ـ التكملة لكتاب الصلة لأبى عبد الله محمد بن أبى بـكر بن الأبار ـ مطبعة مدريد ١٨٨٧م و ط القاهرة ١٩٥٥م .

— جمهرة اشعار العرب لأبى زيد محمد بن أبى طالب القرشى — المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥هـ — ١٩٢٦م .

— جميل امام العذريين للأستاذ محمود مصطفى — ط البابى الحلبى ١٣٥٦هـ — ١٩٣٧م .

— جميل بثينة للأستاذ عباس محمود العقاد : سلسلة اقرأ — دار المعارف .

— جميل بن معمر للدكتور جمال الدين الرمادى — ط الهيئة المصرية العامة للكتاب — الأعلام ٩ — ١٩٧٦م .

— حب ابن أبى ربيعة للدكتور زكى مبارك — الطبعة الثالثة — المطبعة الرحمانية بمصر ١٩١٩م .

— الحب العذرى — نشأته وتطوره للأستاذ احمد عبد الستار الجوارى ط دار الكتاب العربى ١٩٤٨م .

— حديث الأربعاء . للدكتور طه حسين — مطبعة دار المعارف .

— الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية للدكتور محمد كامل حسين — مطبعة مصر ١٩٥٩م .

— خزانة الأدب للبغدادى ط ١٢٩٩هـ .

— دولة الاسلام فى الأندلس لمحمد عبد الله عنان — ط لجنة التاليف والترجمة والنشر .

— ديوان ابن الرومي — تحقيق كامل كيلانى ١٩٤٢م .

— ديوان ابن زيدون تحقيق الأستاذين كامل كيلانى وعبد الرحمن خليفة مطبعة الحلبى ١٣٥١هـ — ١٩٣٢م .

— ديوان ابن المعتز ط ١٨٩١م .

— ديوان أبى العتاهية — ط الآباء اليسوعيين — بيروت ١٨٨٧ .

— ديوان ابى نواس — مطبعة التقدم بمصر .

— ديوان امرىء القيس بشرح السندوبى — مطبعة الاستقامة ط الثانية .

— ديوان البحترى — مطبعة هندية ١٩١١م .

— ديوان بشار — طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر .

— ديوان جميل — ط بيروت بتحقيق بشير يموت .

— ديوان حسان بن ثابت نشره الأستاذ محمد شكرى المكى — مطبعة الامام بمصر ١٣٢١هـ .

— ديوان الشريف الرضى — ط بيروت ١٣٨٠هـ — ١٩٦١م .

— ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمرى — ط ١٩٠٠م .

— ديوان العباس بن الأحنف — مطبعة الجوائب ١٢٩٨هـ .

— ديوان عمر بن ابى ربيعة — ط بيروت .

— ديوان عنترة بن شداد نشره الأستاذ عبد المنعم عبد الرءوف شلبى مطبعة شركة فن الطباعة بمصر .

— ديوان كثير عزة بتخريج الدكتور احسان عباس — ط لبنان .

— ديوان لبيد — ط ليدن ١٨٩١هـ .

— ديوان المجنون (مجنون بنى عامر قيس بن الملوح) بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية .

— ديوان مهيار الديلمى ط دار الكتب ١٣٤٥هـ — ١٩٢٥ م .

— الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة لأبى الحسن على بن بسام المتوفى سنة ٥٤٢هـ القسم الأول الجزء الأول والثانى ط لجنة التاليف والجزء المخطوط .

— زهر الآداب وثمر الألباب للحصرى القيروانى ابى اسحاق شهاب الدين أحمد ط دار احياء الكتب العربية ١٩٥٣ .

— سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين ابن نباتة المصرى — المطبعة الأميرية بالقاهرة .

— السيرة النبوية لابن هشام — مطبعة حجازى بتحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد .

— الشاعر الشهيد هاشم الرفاعى للأستاذ محمد كامل — سلسلة اقرا — دار المعارف .

— شاعر الغزل عمر بن ابى ربيعة للعقاد — ط دار المعارف ١٩٦٥م .

— شرح ديوان اشعار الحماسة لابى زكريا يحيى بن على التبريزى — ط بولاق ١٢٩٦هـ .

— شرح ديوان المتنبى للشيخ ناصيف الياجى — دار صادر بيروت .

— الشعر الأندلسى لاميلو غرسية غومس ترجمة الدكتور حسين مؤنس — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٢م .

— شعراء النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعى — مطبعة الآباء اليسوعيين ١٨٩١م .

— الشعر والشعراء لابن قتيبة الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ وط ليدن ١٩٠٢م .

— الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور للدكتور شوقى ضيف — ط دار المعارف ١٩٧٧م .

— ضحى الاسلام لأحمد امين — الطبعة الثانية ١٩٢٤م .

— طبقات الشعراء لابن سلام ط ليدن .

— طبقات الشعراء لابن المعتز — ط الثانية دار المعارف .

— طوق الحمامة فى الألفة والألاف لابن حزم — طبع مصر ١٩٥٠م .

ـ العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف الطبعة التاسعة . دار المعارف ١٩٨١م .

ـ العصر العباسى الأول للدكتور شوقى ضيف الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٢م .

ـ العصر العباسى الثانى للدكتور شوقى ضيف الطبعة الرابعة دار المعارف ١٩٨٦ .

ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ط مصر سنة ١٩٢٨ .

ـ العمدة فى صناعة الشعر ونقده لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى ط هندية واخرى بالقاهرة .

ـ الغزل فى العصر الجاهلى للدكتور احمد الحوفى الطبعة الثالثة ١٩٧٢ .

ـ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى للدكتور شوقى ضيف الطبعة التاسعة دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

ـ قصة العرب فى أسبانيا لاستانلى بول ترجمة على الجارم .

ـ فى الأدب الأندلسى للدكتور جودت الركابى ـ ط دار المعارف ١٩٨٠م .

ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير على بن احمد ابى الكرم المتوفى ٦٣٠ ط المنيرية ١٣٥٣ .

ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) ط بولاق ١٢٨٤هـ .

ـ محاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ـ مطبعة المويلحى بمصر .

ـ محاضرات فى الأدب للدكتور عبد الحميد محمد المسلوت (دون تاريخ) .

ـ مطمح الأنفس ومسرح التانس فى ملح اهل الأندلس ـ ط مصر ١٣٢٥هـ .

ـ معجم الأدباء أو ارشاد الأريب الى معرفة الأديب لياقوت الحموى ـ ط دار المأمون ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م .

— معجم البلدان لياقوت الحموى ط ليبزج ١٨٦٩م .

— المفضليات للضبى ط ١٩٦١م .

— المقدمة لابن خلدون — المطبعة المصرية بالقاهرة .

— المقارنة بين الشعر الأموى والعباسى فى العصر الأول للدكتور عزيز فهمى بتحقيق وتقديم محمد قنديل البقلى ط دار المعارف ١٩٨٠م .

— الموشح لمحمد بن عمـران المرزبـانى تحقيق عبد الســتار فراج — ط جمعية نشر الكتب العربية ١٣٤٣هـ .

— نظرات فى الأدب (العصر العباسى الأول) للدكتور عبد الرحمن عثمان مطبعة المدنى .

— نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى لكامل كيلانى ط ١٣٤٢هـ — ١٩٢٤م .

— نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لســان الدين ابن الخطيب للمقرى ط بولاق ونشر الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

— نقد الشعر لقدامة بن جعفر — ط ١٩٤٨م .

— نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى (شهاب الدين أحمـد) ط دار الكتب المصرية .

— الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى — ط الثالثـة دار احياء الكتب العربية .

— وفيات الأعيان لابن خلكان — ط بولاق ١٢٧٥هـ ٣

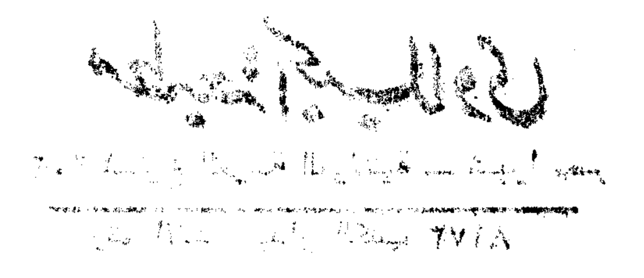
— يتيمة الدهر للثعالبى ط الصاوى ١٣٥٢هـ — ١٩٣٤م وط حجـازى ١٣٦٦هـ — ١٩٤٧م .

فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة



مطبعة الجبلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية ـ شبرا مصر
رقم الايداع بدار الكتب ٨١٧٣